

2011

الانسجام الصوتي: دراسة تحليلية الحلقة الثانية

Abdulmoneam Bchennaty

Jinan University, abdulmoneambchennaty@gmail.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan>



Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#), and the [Arabic Studies Commons](#)

Recommended Citation

Bchennaty, Abdulmoneam (2011) "الانسجام الصوتي: دراسة تحليلية الحلقة الثانية," *Al Jinan الجنان*: Vol. 2 , Article 10.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol2/iss1/10>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *Al Jinan الجنان* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الأستاذ الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي

رئيس أقسام اللغة العربيّة وآدابها والشرعية والدراسات الإسلاميّة في جامعة الجنان

الانسجام الصوتي دراسة تحليليّة في اللغة العربيّة

الحلقة الثانية

الفصل الرابع :

مطلب : التناسب الصوتي في الأصوات المتقاربة المخارج

تتأثر الأصوات بما يقاربها بالمخرج، فيقلب الصوت الأوّل أو الثاني الى ما يقاربه عندما يلتقيان في الدرج الصوتي، فإنّ صوت التاء في صيغة «افتعل» في الكلمات اضترب، واطترد، واظتهر، قريبة المخرج من الضاد والطاء والظاء، فلمّا رأوا أنّ التاء المهموسة بعد هذه الأصوات المطبقة، والتاء مخففة قَرَّبوها من لفظ الصاد والطاء والظاء بأن قلبوها الى أقرب الحروف منهن، وهو: الطاء، لأن الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف في الاطباق والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاء أيضاً، لتوافقها في الجهر والاستعلاء، ليكون الصوت متفقاً، ومنهم من يقلب التاء الى لفظ ما قبلها، وكأنه بعد أن قلبت التاء طاء، تناسب صوت الطاء مع ما قبلها فقَرَّبوها منه فقلبت الى الصوت الذي قبلها، فنقول: اصّبر، ومضّبر واضّرب، ومضّرب، واظّهر، ومظّهر^(١)، وقرأ عاصم: «أن يصلّحاً»^(٢) يريد يصطلحاً^(٣).

١- انظر سر صناعة الإعراب ١/٢١٧.

٢- سورة النساء. الآية ١٢٨.

٣- انظر المحتسب ١/٢٠١. سر صناعة الإعراب ١/٢١٨.

واجتماع الأصوات المتقاربة سبب مقتضى للإدغام^(١)، فكلمًا كانت الأصوات أشدّ تقاربًا كان الإدغام فيهما أقوى، وكلمًا كان التقارب أقلّ كان الإدغام أبعد^(٢). والحروف المتقاربة مخارجها إذا أدغمت فإنّ حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام^(٣).

والأصوات المتقاربة المخارج تجري مجرى الأصوات المتماثلة في الإدغام، فاعلّة الموجبة للإدغام في المثليين قريب منها في الأصوات المتقاربة، لأنّ إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذي رفعته عنه، وهذا العمل يستثقله اللسان، فكهروا بقاء الأوّل على حاله، فإذا التقى حرفان متقاربان قرّبا الصوت الأوّل من الثاني فيقلب إلى لفظ الصوت الثاني، فيدغم الأوّل منهما في الثاني، ولا يمكن إدغام المتقاربين حتى يقلب الصوت الأوّل إلى لفظ الثاني، ولوتركته على أصله من لفظه لم يجز إدغامه لما فيهما من الخلاف، فلا يصحّ الإدغام إلا بعد تقريب صوت من آخر ويصبحا مثليين. لأنّ رفع اللسان بهما رفعة واحدة مع اختلاف الصوتين محال، لأنّ لكلّ صوت منهما مخرجًا غير الآخر، ولا يمتنع ذلك في المتماثلين، لأنّ المخرج واحد يمكن أن يجمعهما في العمل فيقع اللسان عليهما وقعا واحدًا^(٤).

ولأصوات العربيّة العديد من المخارج بلغت عند سيبويه ستة عشر مخرجًا^(٥)، أمّا الخليل بن أحمد فجعل المخارج ثمانية، ولم ينسب الياء والواو والألف والهمزة إلى مخرج معيّن وسماها هوائية^(٦)، وترتب الأصوات بالنسبة لمخارجها ابتداءً من الحلق ثم اللسان - اقصاه، وسطه، طرفه - ثم الشفوية^(٧)، وانتهى سيبويه بمخرج الخياشيم.

والأصوات كما وردت عند سيبويه على ترتيب المخارج على الشكل الآتي: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج: العين والحاء. وأدناه مخرجاً من الفم: الغين والحاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء.

ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد.

١- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٢.

٢- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٢.

٣- الكتاب ٤ / ٤٤٥.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٤.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، والممتع ص ٦٦٨.

٦- انظر المدخل إلى علم اللغة ص ٣١.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٣٢، ودراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٦٣ وما بعدها. والممتع ص ٦٦٩، ٦٧٠.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج: النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج: الطاء، والدال، والتاء.

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج: الزاي، والسين، والصاد.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء، والذال، والثاء.

ومما باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج: الفاء.

ومما بين الشفتين مخرج: الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج: النون الخفيفة^(١).

والمحدثون يسقطون من الأصوات الساكنة: الألف والنون الخفيفة^(٢)، إذ إن الألف عندهم صوت لين ولا فرق بين النون والنون الخفيفة، كما أسقطها الزمخشري وابن الحاجب^(٣).

وصوت الألف ما هو إلا صوت حركة الفتح مشبعا وقد رمز له في مقاييس أصوات اللين بالرمز «q»^(٤) الفرنسي، فما يسمى بألف المد هي فتحة طويلة^(٥). وقد أدرك ابن جني ذلك فقال: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ، وهي: الألف والياء والواو...»^(٦). وكان الخليل بن أحمد يقول: «الألف والواو والياء هوائية، أي: أنها في الهواء»^(٧). ويقصد عندما تكون أصوات مدّ.

والمحدثون حين نظروا إلى نسبة صعود اللسان نحو الحنك أمكنهم أن يقسموا أصوات اللين إلى مجموعتين: المجموعة الأولى: تشمل أصوات اللين الضيقة، وهي: الكسر والضم، وما قرب منهما، لأن اللسان مع كل منهما يبلغ في صعوده نحو الحنك أقصى ما يمكن للنطق بصوت لين، والمجموعة الثانية: هي أصوات اللين المتسعة، وهي: الفتح وما قرب منها. لأن اللسان معها يبلغ أقصى ما يمكن أن يصل إليه في هبوطه في قاع الفم، والفراغ بين اللسان والحنك حينئذ يكون أوسع ما يمكن في هذا الوضع^(٨). وهذا الوصف يبين ما ذكره الخليل من كون أصوات اللين هوائية

١- انظر الكتاب ٤/٤٢٣، ٤٢٤. وانظر شرح المفصل ١٠/١٢٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٥٠.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣.

٣- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٤. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٥٠.

٤- انظر الأصوات اللغوية ص ٤١.

٥- انظر الأصوات اللغوية ص ٣٨.

٦- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٧.

٧- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٤.

٨- انظر الأصوات اللغوية ص ٣٦.

وليس لها أكثر من عضو - وهو اللسان - لتقرع هذه الأصوات عند مخرج معلوم.

وأصوات المدّ، هي: حركة الصوت التي قبلها فلا وجود لحركات قصيرة قبلها بخلاف ما كان يظنه القدماء^(١)، فإذا حرّك ما قبلها بحركة قصيرة انقلب صوت المدّ إلى الصوت المناسب للحركة، وأشبعت الحركة حتى تصبح مدّا من نوعها.

ويختلفون مع سيبويه في تقديم بعض الأصوات عن مخارجها فيعدّون صوت القاف صوتاً لهوياً، ويأتي بعد الهمز والهاء والحاء والعين مباشرة. ويأتي بعد صوت القاف: الغين والحاء والجيم القاهرية والكاف والواو^(٢).

وقد أعجب العديد من المستشرقين ومنهم «شاده» «schaade» على تقسيم سيبويه للمخارج ووصفها بأنها في غاية التفصيل وعذره لتقسيمه المضطرب لأصوات الحلق، لأنه لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزائها، إذ أنها تلاحظ بالتشريح وبالآلات الفنية، كمنظار الحنجرة أو الأشعة ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه^(٣).

ولما كان الغرض العلم بأصول تقريب الأصوات بعضها من بعض وتداخلها، والحرف إنّما هو صوت مقروء في مخرج معلوم، فالعلاقة شديدة بين الصوت ومخرجه، فإنّه وجب معرفة مخارج الأصوات ليعلم المتقارب من المتباعد.

وليس كلّ متقاربين في المخرج يدغم أحدهما في الآخر، ولا كلّ متباعدين يمتنع الإدغام فيهما، فقد يعرض للمقارب من الموانع ما يحرمه التقريب والإدغام. فامتناع التقريب يكون لوجود مانع، فكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتاً، فمثل هذه الأصوات يمتنع تقريبيها أو ادغامها في مقاربها لأنّه يؤدي إلى الإجحاف بها وإبطال مالها من فضل على مقاربها^(٤).

فامتناع التقريب بين الأصوات للحفاظ على الصفات الزائدة في الصوت، نوع من التناسب الصوتي كي لا يضيع ويتلاشى الصوت الزائد في الحرف، فأصوات: الضاد، والواو، والياء، والميم، والراء، والفاء، والشين. وكلّ حرف فيه زيادة صوت، مثل: أصوات الصفيّر والأطباق^(٥). لا يقرب إلى الصوت الذي يليه ويدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه.

فلا تدغم الضاد بصوت يقاربها في المخرج لاستطالة ليست موجودة في الأصوات، فلم يدغموها في مقاربها شحاً على استطالة وقّع صوتها لئلا تذهب، وأدغم فيها مقاربها.

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٢٩.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٦٢، ١٦٤.

٣- انظر المدخل إلى علم اللغة ص ٣٣.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٨.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٤٧. وشرح المفصل ١٠/١٣٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٩. وكتاب التكملة ص ٦١٦.

ولا تدغم الواو والياء في غيرهما لفضيلة اللين والاستطالة، ويدغم غيرهما فيهما.

ولا تدغم الميم مع الباء، نحو: أكرم بكرة وتدغم فيها الباء نحو: اصحب مطراً، فالميم فيها غنة ليست في الباء، فإذا أدغمت في الباء فقد قلبت الى الباء، فيستهلك ما فيها من زيادة الصوت والغنة.

ولا تدغم الراء فيما يقاربها، مثل اللام، نحو: اختر له، وتدغم اللام في الراء، نحو: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ﴾^(١). لأن الراء يصاحب صوتها تكرير ليس في اللام.

ولا تدغم الفاء في الباء، نحو: اذهب في ذلك. لأن الفاء يصاحبها صوت تأفيف، وهو الصوت الذي يخرج من الفم عقيب النطق بالفاء، ولا يوجد في صوت الباء.

ولا تدغم الشين في الجيم مع تقاربهما في المخرج، وتدغم الجيم في الشين، لأنه يصاحب صوت الشين تقش واسترخاء، في الفم ليس في الجيم^(٢) ومن الأصوات ما لا يدغم في مقاربة ولا يدغم فيه مقاربة، وهي الهمزة^(٣) وألف المد.

فالهمزة ثقيلة على اللسان وقابلة للتغيير والحذف ويلزمها ذلك، كما يلزمها التحقيق لأنها تستقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو ما قرب منها حقت في النطق، لأنه موضع استئصال.

والألف لا تدغم في صوت من الأصوات المقاربة، ولا فيما يقاربها، نحو: الهاء. لأن الألف لا تدغم في الألف، فلو عوملتا مثل: «الدالين، والتائين» لتغيرتا وكانتا غير ألفين، فلما لم يكن في الألفين لم يكن مع الواحدة مع ما يقاربها^(٤).

وفيما يلي الأصوات التي تدغم في مقاربها اذا تجاورت:

أولاً: الأصوات الحلقية:

يجوز تقريب بعض أصوات الحلق إلى بعضها، والقاعدة في ذلك: أن الصوت الأدخل في الحلق يقرب إلى الصوت الأقرب إلى الفم^(٥).

فالهاء تدغم في الحاء اذا تجاورا في كلمتين، سواء كانت الهاء أولاً أم ثانياً فإنها تقرب إلى صوت

١- سورة المؤمنون، آية ١١٨.

٢- انظر الكتاب ٤٤٧/٣، ٤٤٨، وشرح المفصل ١٠/١٣٣-١٣٤. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٠.

٣- فلا تدغم الهمزة في مثلها الا بشرط، أن يكونا في كلمة واحدة، وأن تكون عينا، وعلى نحو: فعال وفعل وما اشبههما مما عينه همزة، نحو: «سأل رأس وجأر» من الجوار - وهو الصوت - ولو جمعت سائلا وجأرا على فعل لأدغمت وقلت: «سؤل وجور». أما اذا التقت همزتان في غير موضع العين أو في كلمتين فلا إدغام، نحو: «قرأ أبوك»، ومن أجاز الإدغام فهي لغة رديئة. انظر شرح المفصل ١٠/١٣٥. وكتاب التكملة ص ٦١٥.

٤- انظر الكتاب ٤٤٦/٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٣٦. والممتع ص ٦٧٩.

٥- انظر كتاب التكملة ص ٦١٧.

الحاء، فنقول: «أجبحاتما، واذ بحذه». في: أجبه حاتما واذبح هذه^(١)، والإدغام عربي حسن لقرب المخرجين، لأنهما مهموسان رخوان فقد اجتمع فيهما قرب المخرج والهمس^(٢). فالحاء من أول الحلق، والحاء من وسطه وليس بينهما إلا العين، فالحاء أقرب إلى الفم ولذلك لا تقرب الحاء إلى الهاء فنقول في: «أصلح هيثما» «أصلح حيثما»^(٣) ولا تدغم الحاء في الهاء، مثل: «أمدح هلالا»^(٤) ولا تدغم الهاء مع الغين، وإن كانت الغين أقرب مخرجاً إلى الهاء من الحاء، لأن الهاء مهموسة رخوة كالحاء، والغين مجهورة بين الشديدة والرخوة^(٥).

والهاء لا تقرب من الغين فتدغم بها، وسبب ترك إدغام الهاء في العين وإن تقاربا في المخرج -فالحاء من أقصى الحلق والعين من وسطه- فقد تخالفا في الصفات فالعين مجهورة والهاء مهموسة، والهاء رخوة والعين متوسطة^(٦). فلما تباعد ما بينهما من جهة تجنيس الأصوات وإن تقاربا في المخرج امتنع عن الإدغام، هذا هو الأصل. أما لغة تميم في هذه المسألة فإنهم يتوسطون بين الهاء والعين بأن يقلبوا صوت الهاء إلى حاء، والعين أيضاً، ويدغمون الحاءين. لأن الحاء موافقة للهاء بالهمس والرخاوة، وللعين بالمخرج، فنقول: اقْطَحْ هَلَالاً، وأجبحنبه، ومُحْم. في: اقْطَحْ هَلَالاً، وَأَجْبَحْ عُنْبَهُ، ومعهم^(٧).

والعين إن جاورت الحاء متقدمة أو متأخرة تدغم بالحاء، بقلبها حاء، كقولك: «ارفع حاتما، واذبح عتودا» «ارفعاتما، واذبحتوداً». وإذا وقعت العين قبل الحاء وقلبت حاء فهو حسن، لأن باب الإدغام أن تدغم إلى الثاني وتحول على لفظه. وأمّا قلب العين إلى الحاء إذا كانت قبلها فهو جائز وليس في حسن الأول^(٨). فلا يقلب الأخرج من الأصوات إلى الأدخل من الأصوات فإن أردت الإدغام قلبت العين حاء، وأدغمت الحاء بالحاء، لأنه قد يقلب الثاني إذا تعذر قلب الأول^(٩).

ولا تدغم الحاء في العين وإن تقاربا، وما روي عن أبي عمرو في قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ الْكَارِ﴾^(١٠) بإدغام الحاء في العين فهو ضعيف عند سيبويه، لأن الحاء أقرب إلى الفم ولا تدغم فيما هو أدخل في الحلق^(١١).

١- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٦.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٤٩.

٣- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٦.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٤٩، وكتاب التكملة ص ٦١٧. والمبدع ص ٢٦٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٧٦.

٥- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٧٦.

٦- انظر الأصوات اللغوية ص ٨٨.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٤٩، ٤٥٠ التكملة ص ٦١٧. شرح المفصل ١٠/١٣٧.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٥٠. شرح المفصل ١٠/١٣٦. وكتاب التكملة ص ٦١٧.

٩- الممتع ص ٦٨٣.

١٠- سورة آل عمران آية ١٨٥.

١١- انظر الكتاب ٤٥١. شرح المفصل ١٠/١٣٦. وكتاب التكملة ص ٦١٧.

والغين والخاء صوتان حلقيان من المخرج الثالث منه، وهو أدنى المخارج إلى اللسان، والغين: صوت رخو مجهور، والخاء: صوت رخو مهموس^(١). فالغين والخاء مخرجهما واحد ورخوان، والغين صوت مجهور، نظيره المهموس هو الخاء، ولتوحد المخارج والرخاوة في كلا الصوتين فقد استُحسن تقريب كل صوت إلى صاحبه، وإدغامه فيه^(٢)، فتحو: «ادمغ خلفا» تقول: «ادمغ خلفا» بقلب صوت الغين خاءً، وإدغام الخاءين، وفي نحو: «اسلخ غنمك» تقول: «اسلغ غنمك» بتقريب الصوت الأوّل وهو الخاء إلى الصوت إلى الصوت الثاني وهو الغين وإدغام الصوتين^(٣).

ويجوز إدغام العين والحاء في الغين والخاء لقربهما من الفم^(٤)، أما مذهب سيبويه فالمنع، لأن الغين والخاء قد قربا من الفم قربا شديدا فبعدتا عن الحاء والعين وكذلك الهاء، فلم يجز الإدغام في مثل: «ادمغ حامداً» و«ادفع غالباً» و«ونبه غافلاً»^(٥).

ثانياً: الأصوات اللسانية:

أ) أصوات أقصى الحنك، وهي: القاف والكاف والواو.

أول مخارج الفم مما يلي أصوات الحلق صوت «القاف» وهي أدنى أصوات الفم إلى الحلق، ويليهما صوت «الكاف» وكل صوت منهما يدغم في صاحبه، ولا يدغم غيرهما فيهما^(٦).

وقد حسن سيبويه إدغامهما لقرب المخرجين، ولأنهما من حروف اللسان وهما متفقان في الشدة^(٧)، ومثال إدغام القاف في الكاف قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾^(٨) فتدغم القاف في الكاف، لقرب المخرجين وهما شديدان ومن حروف اللسان، ولأن الكاف أدنى إلى حروف الفم، من القاف، والإدغام حسن لإخراج القاف إلى الأقرب إلى حروف الفم التي هي أقوى في الإدغام^(٩) ومثال إدغام الكاف في القاف: «انهك قطنا»^(١٠) وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا﴾^(١١)، وادغام القاف في الكاف أقيس من إدغام الكاف في القاف، لأن القاف أقرب إلى حروف الحلق والكاف أبعد منها^(١٢).

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٨٧، ٨٨.

٢- انظر كتاب ٤/٤٥١، شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٧، شرح المفصل ١٠/١٢٧.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥١، كتاب التكملة ص ٦١٧. شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٧. شرح المفصل ١٠/١٢٧.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٨. الممتع ص ٦٨٤.

٥- انظر المبدع ص ٢٦٢، وشرح المفصل ١٠/١٣٨، الممتع ص ٦٨٤.

٦- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٨.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

٨- سورة النور آية ٤٥.

٩- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٨.

١٠- انظر الكتاب ٤/٤٥٢، كتاب التكملة ص ٦١٨، المبدع ص ٢٦٤.

١١- سورة محمد آية ١٦.

١٢- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٨، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٨. الممتع ص ٦٨٥.

أما الواو فقد ذكر سيبويه^(١) وغيره أنها من الأصوات الشفوية ولهذه الشبهة فسوف يكون تفصيل الكلام عنها عند الأصوات الشفوية.

(ب) أصوات وسط اللسان.

أصوات وسط اللسان، هي: الجيم، الشين، والياء.

أما الجيم فإنها إن جاورت الشين فإنها تقرّب إليها، وتقلب الجيم شيئاً، وتدغم الشين بالشين، قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾^(٢) ونحو: «أخرج شَبَثًا» بإدغام الجيم بالشين بعد تقريبها الى الشين، وقد حَسَّن سيبويه هذا الإدغام، وإنَّما جاز إدغامهما فيها لكونهما من مخرج واحد^(٣).

والجيم لا تدغم في الياء، وإن كانا من مخرج واحد، لأن الياء صوت معلول وبائن من جميع الحروف، والأصوات الساكنة تمتدّ بأصوات العلة، ولأن الحركات بعضها^(٤).

ولم يذكر سيبويه إدغامها إلا مع مثلها والشين^(٥). وقد أدغمها أبو عمرو في التاء في قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(٦)، وهو نادر^(٧). لأنها وإن لم تقارب الجيم التاء، فإنَّ الجيم أخت الشين في المخرج، والشين فيها تفش يصل الى مخرج التاء، فلذلك ساغ إدغامها فيها^(٨).

والشين لا تدغم في الجيم، مع أنَّهما متقاربان ومن مخرج واحد، لأن الشين أفضل من الجيم لصوت التفشي، فكروها إذهابه بالإدغام^(٩)، وأيضاً فإنَّ الشين بتفشيها لحقت بمخرج الطاء والذال، فبُعِدَت عن الجيم^(١٠).

وأما الياء فلا تدغم بالجيم، للعلة المانعة من إدغام الياء والواو في حروف الصحة^(١١).

ويدغم في الجيم ستة أصوات من غير مخرجها، وهي: الطاء والذال والتاء والطاء والذال والتاء، نحو: «لم يربط جَمَلاً» و«قد جَعَلَ» و«وَجَبَت جَنُوبُهَا» و«احفظ جَابِراً» و«انبذ جَعْفراً» و«ابعث

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٢، الممتع ص ٦٧٠.

٢- سورة الفتح آية ٢٩.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥٢. الممتع ص ٦٨٦. شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٨ المبدع ص ٢٦٤.

٤- انظر الممتع ص ٦٨٦.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

٦- سورة المعارج آية ٣-٤.

٧- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٨.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨.

٩- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨.

١٠- انظر الممتع ص ٦٨٧.

١١- انظر المرجع السابق

جَامِعاً^(١)، وجاز إدغام هذه الأصوات في الجيم من وسط اللسان، فكان بينهما تباعد، فأجريت في ذلك مجرى أختها الشين، لأن الشين وإن كانت من مخرج الجيم فإن فيها تفشياً يتصل بهذه الحروف، ولهذا الاتصال جاز أن يدغم في الجيم، ولا تدغم الجيم فيها^(٢). ويقوي إدغام هذه الأصوات بالجيم، أنها تدغم في الشين، فكذا أدغمت في أختها الجيم حملاً عليها^(٣).

وإذا أدغمت الطاء والظاء في الجيم فالأحسن أن تبقى الإطباق الذي فيهما لئلا تخلّ بهما وتضعفهما، بزوال الإطباق منهما^(٤).

وصوت الشين لا يقرب ممّا يجاوره ويقاربه، وقرأ أبو عمرو إدغامها في السين في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَا بُغْوَ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٥) وإدغام السين فيها في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٦) لأنهما متواخيتان في الهمس والرخاوة، والصوت والتفشي، فكانت من مخرج واحد، وإن تباعد مخرجهما، مع أنّ السين من حروف الصفير. ونحاة البصرة يمنعون إدغام الشين في السين والعكس^(٧)، لأن للشين فضل استطالة في التفشي، وزيادة صوت على السين^(٨).

وتدغم في الشين سبعة أصوات من غير مخرجها، وهي: الطاء والذال والتاء والظاء والذال والثاء واللام، لأن الشين استطالت بالتفشي الذي فيها، حتى اتصلت بمخرج هذه الأصوات، فجرت لذلك مجرى ما هو مخرج واحد^(٩)، فتقول: اضْبِشْبِثًا، وانْقَشْبِثًا، وانْعَشْبِثًا، واحْفَشْبِثًا، وابْعَشْبِثًا، وخَشْبِثًا. من قولك: اضبط شبثًا، وانقد شبثًا، وانعت شبثًا، واحفظ شنبًا، وابعث شنبًا، وخذ شنبًا^(١٠).

أما الياء فلا تدغم في حرف صحيح، ولو كان من مخرجها لأنها من أصوات المدّ، ولها فضيلة على غيرها بما فيها من المدّ واللين، فباينت الأصوات اللاتي من مخرجها والمقاربة لها، فلا تدغم في «الجيم والشين» وإن كانت من مخرجها، لما فيها من المدّ واللين لئلا تخرج إلى ما ليس فيه مدّ ولا لين من الحروف الصحاح^(١١).

١- انظر المرجع السابق.

٢- انظر الممتع ص ٦٨٧. وشرح المفصل ١٠/١٢٨.

٣- انظر الممتع ص ٦٨٧-٦٨٨.

٤- انظر الممتع ٦٨٨.

٥- سورة الإسراء آية ٤٢.

٦- سورة مريم آية ٤.

٧- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٧٨. وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٩.

٩- الممتع ص ٦٨٨.

١٠- الكتاب ٤/٦٦٤.

١١- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٩.

وتدغم الياء في الواو، إلا أنَّ الواو هي التي تقلب لجنس الياء، تقدمت أو تأخرت، وذلك أنَّ الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقد اجتماعا في المدِّ، فصارا كالمثلين فتدغم الواو في الياء، بعد قلبها ياء^(١٢)، ويرى أهل اللغة: أنَّ الواو تخرج من الشفة ثم تهوي إلى الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف والياء، فالياء والواو على هذا متجاورتان^(١٣).

أمَّا سبب قلب الواو ياء، عند إدغام الياء بالواو، فلأنَّ القصد بالتقريب أو الإدغام: التخفيف، والياء أخفُّ من الواو، فقلبوا الواو ياء على كل حال، والإدغام إنَّما هو نقل الأثقل إلى الأخفِّ، ومن ذلك: «أيَّام» في جمع «يَوْم» والأصل «أيَّوام» ومثله: «سيِّد» و«ميِّت» وأصله: «سيِّود» و«ميِّوت» وأيضا «طَيَّ» و«لَيَّ» والأصل: «طَوَّيَّ» و«لَوَّيَّ».

والأصل أنَّه لا يدغم في الياء أيُّ صوت صحيح، إلا أنَّ النون جاز إدغامها في الياء وإن لم يكن فيها لين، لأنَّ النون غنَاء ولها مخرج من الخيشوم، فأشبهت بالغنَّة التي فيها الياء، لأنَّ الغنَّة فضل صوت في الحرف، كما أنَّ اللين فضل صوت في حروف العلة^(١٤)، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾^(١٥) وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ﴾^(١٦) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١٧).

(ج) أصوات طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهي: الضاد، والذال، والتاء، والطاء^(١٨).
أما سيبويه فإنَّه يجعل للضاد بمفردها مخرجا، وهو: من بين أوَّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس. ويجعل للطاء، والذال، والتاء مخرجا قريبا منه، وهو: من بين طرف اللسان مع أصول الثنايا^(١٩).

والضاد فيها من فضيلة الإستطالة والإطباق والإستعلاء، ما ليس في مقارباتها مما يشركها في هذه الصفات كلها، ما يمنعها من أن تدغم في غيرها، فلو أدغمت في أحد الأصوات المقارب لها لأدَّى ذلك إلى الإخلال بها وذهاب فضيلة الأصوات الزوائد^(٢٠). وروى سيبويه أنَّ بعضهم قال: «مطَّجع» بإدغام الضاد بالطاء في «مضطجع»^(٢١). واغتنقوا لها ذهاب الإستطالة التي في الضاد، وموافقة

١٢- انظر الممتع ص ٦٨٨. وشرح المفصل ١٢٩/١٠.

١٣- انظر شرح المفصل ١٢٩/١٠. أمَّا المحدثون فيرون: أن مخرج الواو ليس الشفتين فقط بل من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، وأنَّ الشفتين حين النطق بها تستديران. الأصوات اللغويَّة ص ٤٣.

١٤- انظر الممتع ص ٦٨٩. وشرح المفصل ١٢٩/١٠.

١٥- سورة يونس آية ٤٠.

١٦- سورة الاحزاب آية ٣٠.

١٧- سورة الطلاق آية ٢.

١٨- انظر الأصوات اللغويَّة ص ٤٨.

١٩- انظر الكتاب ٤٢٣/٤.

٢٠- انظر الممتع ص ٦٩٠.

٢١- انظر الممتع ص ٦٩٠.

الضاد للطاء في الاطباق والإستعلاء. وقرب المخرج، ووقعها في كلمة واحدة. فلما اجتمعت هذه الأسباب قرَّبوا الضاد من الطاء وأدغموا الطاء بالطاء، وهذا قليل جدا ولا ينبغي أن يقاس^(١)، كما يبين سيبويه أن العرب يكرهون أن يدغموا الضاد فيما أدغم فيها من الأصوات - والطاء تدغم في الضاد - كما كرهوا إدغام الضاد بالشين^(٢)، وقرأ أبو عمرو إدغام الضاد بالشين، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَدْنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾^(٣) وهو خلاف ما نصَّ عليه سيبويه، ووجهه أنَّ الشين أشدَّ استطالة من الضاد، وفيها تقش ليس في الضاد، فقد صارت الضاد أنقص منها. وإدغام الأنقص في الأزيد جائز، ويستشهد أن سيبويه حكى عن بعض العرب: «أطجع» وإذا جاز إدغامها في الطاء فإدغامها في الشين أولى^(٤).

ويرد عليه أنَّ هذه القراءة ضعيفة لأمرين:

الأول: ذهاب ما في الضاد من الإستطالة.

الثاني: سكون ما قبل الضاد، فيؤدِّي إلى اجتماع ساكنين على غير شرطه. والظاهر أنَّ أبا عمرو قرأ باختلاس الحركة، فظنَّها الرواي إدغاما، والحجة أن أنه في قوله تعالى: ﴿رَزَقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾^(٥) و ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾^(٦) لم يدغم الضاد بالشين^(٧)، ومنه ما روي في قراءة إدغام الضاد بالذال، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾^(٨)، ولكنه محمول على الإخفاء واختلاس الحركة لا على الإدغام^(٩).

فالعرب كرهوا إدغام الضاد في غيرها، ولو كان المجاور لها مما يدغم فيها^(١٠).

ويدغم في الضاد من غير مخرجها ما أدغم في الشين من غير مخرجها، وهي الحروف التالية: «الطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء واللام».

وجاز إدغام هذه الحروف في الضاد، لأنها من طرف اللسان والثنايا، والضاد من حافة اللسان وجانب الأضراس، وفيها إطباق واستطالة تمتد حتى تصل بهذه الحروف، فصارت مجاورة لها،

١- انظر المتع ص ٦٩٠ والمبدع ص ٢٦٦.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٦.

٣- سورة النور آية ٦٢.

٤- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٠.

٥- سورة النحل، آية ٧٣.

٦- سورة عبس، آية ٢٦.

٧- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٠.

٨- سورة الملك، آية ١٥.

٩- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٠.

١٠- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٠. المتع ص ٦٩٠.

فجاز إدغامهن فيها، والضاد أقوى منهن وأوفر صوتا والإدغام إنما هو في الأقوى^(١).

وادغام هذه الأصوات في الضاد، أقوى من إدغامها في الشين، لأنها خالفت باستطالتها الثنية، وهي مع ذلك مطبقة^(٢). ومثل سيبويه وغيره لإدغام هذه الأصوات، واستشهد لإدغام التاء بالضاد فقال وسمعنا من يوثق بعربيته، قال: ثار فضجضة ركانبه.

فأدغم التاء بالضاد. وتقول: اضبطرمة وانعضرمة، واحضرمة وخضرمة وابعضرمة، وهضر بك خالد. من قولك: اضبط ضرمة، وانعت ضرمة، واحفظ ضرمة، وخذ ضرمة، وهل ضربك خالد^(٣)، أما أصوات الطاء والدال والتاء، فإن كل صوت من هذه الأصوات يدغم في الصوتين الآخرين، لأنهم من مخرج واحد.

فالطاء والدال تدغم كل واحدة في صاحبتها، لأنهما من مخرج واحد، وهما مجهورتان شديدتان، والمتكلم مخير بين إذهاب إطباق الطاء وتبقيته، فتقول «اضبط لما» والأصل «اضبط دلما» بإدغام الطاء بالدال، مع ابقاء الإطباق لأن الدال ليس فيها إطباق، وهو الأقيس لأن صوت الإطباق أفشى في السمع، وبعض العرب يذهب الإطباق وهو الأقيس لأن صوت الإطباق أفشى في السمع، وبعض العرب يذهب الإطباق فيجعل الطاء كل الدال سواء إذ أرادوا أن لا تخالف الطاء الدال، فقلبوها دالا خالصة^(٤).

وتدغم الطاء في التاء، نحو: «انقتوأما»، الأصل: «انقطتوأما» بالإدغام والإطباق فتصير الطاء تاء، وفيه قرأ أبو عمرو قوله تعالى: ﴿عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(٥) وكما ذهب الإطباق مع الدال فإنه يجوز إذهابه مع التاء، إلا أن إذهابه مع الدال أمثل قليلا، لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة^(٦). ومما أخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهم: «حُتُّهم» يريدون: «حُطُّهم»^(٧).

وتدغم الدال في الطاء، والتاء في الطاء، نحو: انقد طالبا، وانعت طالبا، فتصيران الى الطاء، لأنه لا يجحف فيهما في الإطباق^(٨).

وتدغم التاء في الدال، والدال في التاء، والصوتان شديدان، إلا أن إدغام التاء في الدال أمثل، لأن الدال مجهورة والتاء مهموسة، مثل: «انعت دلامة» بالإدغام^(٩).

١- انظر الكتاب ٤/٤٦٥. المتع ٦٩١. وشرح المفصل ١٠/ ١٤٠.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٦٥. المتع ٦٩١. المبدع ٢٦٦.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٦٠. وشرح المفصل ١٠/ ١٤٥، ١٤٦.

٥- سورة الزمر، آية ٥٦.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٦٠. وشرح المفصل ١٠/ ١٤٦.

٧- الكتاب ٤/٤٦٠.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٦٠.

٩- انظر الكتاب ٤/ ٤٦١. وشرح المفصل ١٠/ ١٤٦.

د) أمّا الأصوات اللثوية أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا^(١): الظاء والذال والطاء، وأصوات الطاء والذال والطاء، فإنّ كلّ صوت من هذه الأصوات يدغم في الخمسة الباقية، وتدغم الخمسة الباقية فيه^(٢). فلا تمتنع هذه الأحرف عن بعضها البعض في الإدغام، لأنهن من حيز واحد، وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها، وذلك نحو: اهبطّالما، وابعدّلك، وانعّابتا واحفظّالبا، وخدّاود، وابعتّلك، وحدّتهم^(٣). من قولك: اهبطّ ظالما، وابعد ذلك، وانعت ثابتا، واحفظ طالبا، وخد داود، وابعت تلك، وحدّتهم. فيقرب الصوت الأوّل إلى الصوت الثانی ثم يدغم الصوتان في بعضهما.

أما أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا: الظاء والذال والطاء، فإنّ كلّ صوت يدغم في صاحبه.

فالطاء تدغم في الذال، والذال تدغم في الظاء، لأنهما من مخرج واحد ومجهوران، ويفترقان في الإطباق، فتقول: «احفظ ذلك» و«خذ ظالما» بالإدغام، ويحسن اذهاب الإدغام لتكافئتهما في الجهر.

والطاء تدغم في الظاء، وكذا الظاء في الثاء، والصوتان مجهوران، ومن مخرج واحد، ويفترقان في الإطباق، فتقول: «ابعت ظالما» و«ايقتظ ثابتا» بالإدغام. إلا أن إدغام الثاء في الظاء أحسن لبقاء الإطباق^(٤).

والذال تدغم في الثاء، والطاء تدغم في الذال، والإدغام بينهن كثير وجيد، فتقول: «خثّابتا» و«وابعدّلك» والأصل: «خذ ثابتا» و«ابعت ذلك»^(٥).

هـ) الأصوات الصفيرية - أصوات طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى^(٦) - وهي: الزاي، والسين، والصاد.

كلّ صوت من الأصوات الصفيرية يدغم في الآخر، فهي من مخرج واحد وصفيرية، وتجتمع في صفة الرخاوة، والزاي: مجهورة. والسين والصاد: مهموستان، والصاد: مطبقة، لتفارق صوت السين قليلا^(٧)، ويقلب الأول منهم إلى جنس الثاني إذا تجاوزا، ولا يكون في ذلك خلل. والإدغام فيهن أجود من الإظهار لأنهن من حروف طرف اللسان، وأصل الإدغام أن يكون في أصوات حروف

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٧.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٤. المتع ٧٠١. شرح المفصل ٤/١٤٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٦٤.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٦٢. شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٦٢.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٣٢. الأصوات اللغوية ص ٧٥.

٧- انظر الأصوات اللغوية ٧٥-٧٦. وقارن بين هذه الأصوات

الفم وطرف اللسان^(١).

وإدغام حروف صفير بعضها في بعض أكثر من إدغام «الطاء والثاء والذال» بعضها في بعض. لأن الإعتقاد بالإدغام على الحرف المنحصر بالأسنان، أسهل منه على الحرف الرخو الخارج من رؤوس الأسنان^(٢).

فإن أدغمت «الصاد» في أختيها فالأولى إبقاء الإطباق^(٣)، ويجوز ترك الإطباق، نحو: «افحص زُئدا» و«أخلص سألما» فتقلب الصاد في المثال الأول زايًا، وتدغم الزاي، وفي المثال الثاني تقلب الصاد سينا وتدغم السين في السين.

وإذهاب الإطباق من الصاد مع السين أحسن من إذهابه مع الزاي، لأن السين تشاركها في الهمس، ولا تخالفها إلا في الإطباق^(٤).

وإذا أدغمت السين والزاي في الصاد قلبتهما صادين، ولا يقع إخلال فيهما، نحو «احبس صابرا» و«أوجز صابرا»^(٥).

وتدغم كل من الزاي والسين في صاحبتهما، وإدغام السين في الزاي أجود، نحو: «احبس زردة» و«أوجز سلمة» لأنهما من الأصوات المتكافئة في المنزلة^(٦).

ويجوز إدغام الأحرف الستة: الطاء والذال والثاء والطاء والذال والثاء، في الأصوات الصفيرية - الصاد والزاي والسين - لأنهن من طرف اللسان، والأقيس في الأصوات المطبقة إذا أدغمت تبقى الإدغام^(٧).

ولا يجوز إدغام الأصوات الصفيرية في الأصوات الستة، لأن في ذلك إخلالاً بها لقوتها من الصفير ولو أدغمت لقلبت إلى جنس ما تدغم فيه فيذهب الصفير، وهو فضل صوت في الحرف^(٨).

ويدغم في الأصوات الصفيرية الثلاث صوت اللام، والإدغام هنا جيد، ويلي جودة إدغام اللام بالراء، لأن اللام أقرب الحروف إلى الأصوات الصفيرية بعد الراء، وإدغام اللام في: الطاء

١- انظر المتع ص ٧٠٧.

٢- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٨٣.

٣- فالأفصح إذا أدغمت حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه إبقاء الإطباق، لئلا تذهب فضيلة الحرف. انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٨١.

٤- انظر المتع ص ٧٠٨.

٥- انظر المبدع ص ٢٧٢. والمتع ص ٧٠٧.

٦- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٧- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٥، ١٤٦.

٨- انظر المتع ص ٧٠٨. وشرح المفصل ١٠/١٤٦.

والتاء والدال، نفس حكم إدغامها في الصفيريّات^(١).

و) أصوات طرف اللسان مع ما فوق أصول الثنايا العليا، وهي: اللام والنون والراء^(٢)، وسمى بعض العلماء القدامى هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الذلقيّة، وتتميز هذه الأصوات عن غيرها من الأصوات الساكنة بالوضوح السمعي.

فلوضوحها الصوتي شبهت بأصوات اللين وعدّها القدامى من الأصوات المتوسطة، أي: بين الشدّة والرخاوة، أمّا بقيّة الأصوات المتوسطة - العين والميم - فهي من مخرجين آخرين^(٣).

وتدغم اللام في أصوات اللسان لموافقتها لها، وهي أحد عشر حرفاً وهي: التاء، الدال،، الطاء، الثاء، الظاء، الذال، الزاي، السين، الصاد، الراء، النون. وتدغم أيضاً في الضاد، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، وكذا في الشين، لوجود التفتشي الذي فيها خالطت مخرج اللام^(٤)، والمجموع ثلاثة عشر حرفاً، وهي الأصوات الشمسيّة^(٥).

فإذا كانت اللام للتعريف وجب إدغامها مع الأصوات الشمسيّة، ولا يجوز ترك الإدغام معها^(٦)، لاجتماع ثلاث أسباب تدعو إلى الإدغام، فلما كان فيها ثلاث موجبات للتخفيف - وهي: ١- ثقل اجتماع المقاربات. ٢- كثرة لام المعرفة في الكلام ٣- وأنها مع ما بعدها كالكلمة الواحدة، فتتصل بالاسم اتصال بعض حروفه لأنه لا يوقف عليها - التزم فيها الإدغام^(٧).

فإذا كانت لغير التعريف جاز إدغامها في هذه الأصوات الثلاثة عشر، بسبب المقاربة، وإدغامها وهي ساكنة أحسن من إدغامها وهي متحرّكة^(٨). وإدغام اللام في الأصوات الشمسيّة على ثلاث درجات من القوة:

١- أفضل درجات اللام في الإدغام يكون مع الأقرب لها في المخرج، والأشبه بها، وهو صوت الراء، وبعض الذين يصعب عليهم إخراج الراء يجعلها لاما، نحو: «هرأيت». فإن لم تدغم قلت «هل رأيت»، وهي لغة عربية فصيحة لأهل الحجاز^(٩).

٢- يلي حسن وجودة إدغامها في الراء، إدغامها في أصوات طرف اللسان مع الثنايا، وهي: الطاء

١- انظر المتع ص ٦٩٣، ٧٠٨.

٢- انظر الكتاب ٤/ ٤٣٣.

٣- انظر الأصوات اللغويّة ص ٦٣ - ٦٤

٤- انظر الكتاب ٤/ ٤٥٧، المتع ص ٦٩١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٩، شرح المفصل ١٠/ ١٤١.

٥- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤١.

٦- انظر الكتاب ٤/ ٤٥٧.

٧- انظر المتع ص ٢٩٢، وشرح المفصل ١٠/ ١٤١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٩.

٨- انظر المتع ص ٦٩٣، والمبدع ص ٢٦٧

٩- انظر الكتاب ٤/ ٤٥٧، المتع ص ٦٩٣، شرح المفصل ١٠/ ١٤١.

والدال والتاء والصاد والزاي والسين. لأنها أقرب الأصوات إليها بعد الراء، وليس ككثرته مع الراء، لأنهنّ تراخين عنها، وجاز الإدغام لأن آخر مخرج اللام قريب من مخرجها^(١). وقرأ بالإدغام حمزة والكسائي وهشام قوله تعالى: ﴿تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢) فأدغم اللام في التاء^(٣).

٣- وتدغم اللام مع: الظاء والتاء والذال. وليس كحسن إدغامها في الأصوات السابقة، وجاز إدغامها في هذه الأصوات لأنها من أطراف الثنايا، متصّدة الى أصول الثنايا متى قاربت مخرج الفاء. ولأن اللام تدغم في الفاء جاز إدغامها فيما قرب من مخرج الفاء^(٤). وقرأ أبو عمرو بن العلاء: «هُتُوبُ الْكِفَارِ»^(٥) يريد ﴿هَلْ تُوبُ الْكِفَارِ﴾ فأدغم في التاء^(٦).

٤- وإدغام اللام في الشين والضاد أضعف لأنهما ليسا من طرف اللسان كاللام، فالضاد مخرجها من أول حافة اللسان، والشين من وسطه، وجاز إدغام اللام فيهما لاتصال مخرجهما بحروف طرف اللسان، بالإستطالة التي في الضاد، والتفشي الذي في الشين^(٧).

٥- وبيان اللام مع النون أحسن من الإدغام، ويرى سيبويه أن إدغام اللام في النون أقبح من جميع الحروف التي تدغم فيها اللام^(٨)، وإنّما قبح إدغام اللام في النون، وإن كانت اقرب الى اللام من غيرها من الحروف المذكورة، فكما أنه لا يجوز إدغام شيء منها في النون فكذلك ضعف إدغام اللام فيها^(٩)، ولا يدغم في اللام إلا النون^(١٠).

أما النون فهي صوت يصاحبه غنة، والغنة صوت مصدره الخيشوم، ويتبع الصوت ويشارك النون في الخيشوم الميم، لما فيها من الغنة صوت يسمع كالميم^(١١).

والنون تدغم في مثلها وفي حروف خمسة، هي: الياء، الراء، والميم، واللام، والواو. لمقاربتها في المخرج للراء واللام، ومشابقتها ومقاربتها للميم في الغنة وأما مقاربتها للياء والواو فلأن في النون غنة تشبه اللين في الياء والواو^(١٢)، فلما قاربت النون هذه الحروف الخمسة أدغمت فيها.

١- انظر الكتاب ٤/٤٥٧، المتع ص ٦٩٣، شرح المفصل ١٠/١٤١.

٢- سورة الاعلى، آية ١٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٢.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٥٨، المتع ص ٦٩٣، وشرح المفصل ١٠/١٤١.

٥- سورة المطففين، آية ٣٦.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٩.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٥٨، المتع ص ٦٩٤، شرح المفصل ١٠/١٤١.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٥٩.

٩- انظر المتع ص ٦٩٤.

١٠- انظر المتع ص ٦٩٤.

١١- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٤.

١٢- انظر المتع ص ٦٩٦.

فإذا كانت النون ساكنة فليس فيها إلا الإدغام، وإن كانت متحركة جاز فيها الوجهين: الإدغام والبيان، نحو: ختنٌ موسى. وكأنَّ الحركة فاصل، إذ أن نيّة الحركة بعد الحرف، فأدى ذلك الى الفصل بين المتقاربين^(١).

وإذا أدغمت النون في الياء والراء والواو، فيجوز أن يكون الإدغام بغنة وبغير غنة، فإذا أدغمت بغنة فلأن الغنة فضل صوت فيكره إبطاله، وبقي أثر النون وهو الغنة، لفضله وزيادته، وقد جود ابن عصفور إبقاء هذا الأثر للمحافظة على فضل الغنة^(٢). أمّا إذا كان إدغامها بغير غنة فهو على أصل الإدغام، لأنها إذا أدغمت في هذه الحروف صارت من جنسها، فتصير مع الياء ياء، ومع الراء راء، ومع اللام لا ما، ومع الواو واو، وهذه الأصوات بغير غنة^(٣).

أمّا إدغامها مع الميم فليس فيه إلا الغنة حيث تقلب ميما، وفي الميم غنة، فعند إدغام النون في الميم لا يوجد حاجة الى غنة النون، لوجودها في الميم، فإذا قلبت النون ميما محضة لم تبطل الميم^(٤). ولأن الميم تخرج من الشفة، وتصير إلى الخياشيم للغنة التي فيها، أدغمت فيها النون لتلك المجاورة^(٥).

ولا يدغم في النون إلا اللام، نحو: «هنرى» والأصل: «هل نرى» فأدغم اللام في النون. والبيان أحسن، لأنه امتنع إدغام ما أدغمت النون فيه في النون، فكأنهم استوحشوا إدغام اللام فيها، لما امتنع إدغام بقية أخواتها فيها^(٦).

وشاع في علم التجويد أحكام النون الساكنة والتنوين، وقد خصص مطلب سابق في هذا الشأن^(٧). أما الراء فهو صوت مجهور مكرر^(٨)، ولأن فيها تكريرا فلا تدغم فيما يقاربها لئلا يسلبها الإدغام ما فيها من فضل التكرير^(٩). وتدغم في مثله لأن معدنها وجرسهما واحد^(١٠). فلو أدغمت فيما يقرب منها - وهو اللام والنون - فإنها تصير من جنس ما تدغم فيه، وما تدغم فيه ليس فيه تكرير، ولهذا امتنع إدغامها في اللام والنون حفاظاً على فضل التكرير^(١١).

١- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٢- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٣- انظر الممتع ص ٦٩٧، شرح المفصل ١٠/١٤٤.

٤- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٥- انظر الممتع ص ٦٩٨.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٦.

٧- المطلب الثامن (أ): النون وانسجامها الصوتي.

٨- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩١.

٩- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩١. والممتع ص ٧٠١، وشرح المفصل ١٠/١٤٣.

١٠- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٣.

١١- انظر الممتع ص ٧٠١.

ومذهب البصريين واضح في منع إدغام الراء في اللام، ولم يخالف سيبويه من البصريين سوى يعقوب الحضرمي، وهي قراءة أبي عمرو، حيث روي أنه كان يدغم الراء في اللام: ساكنة الراء أو متحركة، فالساكنة نحو قوله تعالى: ﴿فَأَعْفِرْنَا دُوْبُكَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ دُوْبُكُمْ﴾^(٣)، وما كان مثله. أما المتحركة، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُومِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^(٥). أما المذهب الكوفي فقد أجاز إدغام الراء في اللام، وأجاز الكسائي والفرّاء، وحجتهما: أنّ الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل وأخفّ من أن تأتي براء فيها تكرير وبعدها لام وهي مقاربة للفظ الراء، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من موضع واحد^(٦).

وقد شدّد ابن جني على أن قراءة أبي عمرو في إدغام الراء مدفوع عنده وغير معروف، وإنّما هو شيء رواه القرّاء، ولا قوة في القياس^(٧). ويذكر أبو بكر بن مجاهد الذي روى قراءة أبي عمرو أنّه لم يقرأ أحد سواه هذه القراءة^(٨).

أما إدغام اللام في الراء فحسن، نحو: «اشغل رّحبة» لقرب المخرجين، ولأنّ الراء فيها انحرافا نحو اللام قليلا، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج^(٩).

وتدغم النون في الراء، وهما شديدتان، ولقرب المخرجين على طرف اللسان حسن الإدغام، نحو: «مِنْ رَّاشِدٍ» و«مَنْ رَّأَيْتَ» و«مَنْ لَّكَ» ويجوز الإدغام بغنة وبغير غنة. وإذا كان الإدغام بلا غنة فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإذا كان الإدغام بغنة فإنّه يترك صوت غنة النون الخارج من الخياشيم على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له نصيب من الخياشيم فيغلب عليه^(١٠).

ثالثا: الصوت الشفوي الأساني^(١١)، وهو: صوت الفاء فقط، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى

١- سورة ال عمران، آية ١٦.

٢- سورة ال عمران آية ١٥٩.

٣- سورة ال عمران، آية ٢١.

٤- سورة ابراهيم، آية ٢٣.

٥- سورة هود آية ٧٨.

٦- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٣، والمبدع ص ٢٦٩.

٧- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩٣.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٣.

٩- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

١٠- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

١١- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٦.

وأطراف الثنايا العليا^(١)، وهو صوت رخو مهموس وليس في العربية نظير الصوت مجهور للفاء المهموسة، وفي اللغة الفرنسية والإنجليزية يرمز لنظير الصوت العربي بالمصطلح (v)^(٢).

وأقرب الأصوات الى الفاء صوت الياء، لتقاربهما في المخرج لأنهما من الشفة^(٣)، ولا تدغم الفاء إلا في مثلها، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾^(٤)، ولا تدغم في مقاربها لأن فيها تفسيا، فلو أدغمت فيما يقاربها لأزيل التفتي^(٥).

والصوت الذي يصاحب الفاء يسمى عند المحدثين بالحفيف، وهو نفس الصوت الذي يقول عنه القدماء بالتفتي. فعندما يضيق المجرى عند مخرج صوت الفاء نسمع صوتا عاليا من الحفيف هو الذي يميز الفاء بالرخاوة^(٦).

وما روى عن الكسائي من إدغامه الفاء بالياء في قوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُ أَخْسَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾^(٧) فشاذ ولا يقاس عليه للإخلال الواقع بصوت الفاء^(٨).

رابعاً: الأصوات الشفوية، وهي: الباء والميم، أمّا «الواو» فلها علاقة وثيقة بالأصوات الشفوية.

فالباء: صوت شفوي شديد مجهور مقلقل، ومخرجه ما بين الشفتين، اذ تنطبقان انطباقاً كاملاً، فإذا انضجت الشفتان فجأة سمعنا صوت الباء الانفجاري^(٩).

وتدغم الباء فيما يقاربها من الأصوات، وهي: الفاء والميم. وإدغامها في الفاء يقوّيها لقلبها حرفاً متفتشاً، وليس في ذلك إخلال في الباء، نحو قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ بَعَكَ﴾^(١١)، وجاز إدغامها في الفاء لأنها من الشفة ولقربها من المخرج^(١٢)، أما إدغامها في الميم، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١٣)، فجاز الإدغام لاتحاد المخرج^(١٤).

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.

٢- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٦.

٣- انظر المتمع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٧.

٤- سورة البقرة، آية ٢١٣.

٥- انظر المتمع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٦.

٦- انظر الأصوات اللغوية ص ٢٤، ٤٦.

٧- سورة سبأ، آية ٩.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٩- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٥.

١٠- سورة البقرة، آية ٢.

١١- سورة الإسراء، آية ٦٣.

١٢- انظر المتمع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٧.

١٣- سورة البقرة آية ٢٨٤.

١٤- انظر المتمع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٧.

وكذا قوله تعالى: ﴿بَبَقِيَ أَرْكَبٌ مَعَنَا﴾^(١).

ولا يدغم في الباء مقارب لها، والذي يقاربها في المخرج هو: الفاء والميم، فأما (الفاء) فلم تدغم فيها لعلّة فضل الحفيف أو التنفسي الموجود فيها فإذا أدغمت في الباء أزيل فضل الحفيف^(٢).

أما النون المتحركة فلا تدغم في الباء، فالنون الساكنة تقلب قبل الباء ميما، فإذا كانوا يفرّون من النون الساكنة الى الميم قبل الباء، فالأولى أن تظهر إذا كانت قبل الباء^(٣).

أما الميم فلا تدغم إلا في مثلها، نحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٥). ولا تدغم فيما يقاربها في المخرج وهي: الفاء والباء^(٦).

وسبب منع إدغام الميم في مقاربها، لأن فيها غنة، والغنة: فصل صوت في الحرف، فلو أدغمت في مقاربها لقلبت إلى ما يجاورها: فاء أو باء أو واو، ولذهبت الغنة فيكون ذلك إخلالا بها^(٧).

وروي عن ابن عمرو: إدغام الميم في الباء، عندما يتحرك ما قبل الميم، نحو قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٨) وقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾^(٩)، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(١٠)، ولكن أصحاب أبي عمرو عندما يقرؤون كانوا لا يأتون بباء مشددة، لأن الحرف إذا أدغم في مقاربه قلب الى لفظه ثم أدغم، ولو كان فيه إدغام لصار في اللفظ باء مشددة، ويذكر ابن مجاهد: أن القراء كانوا يترجمون عن أبي عمرو بإدغام الميم في الباء، ولكنه ليس بإدغام، إنما هو إخفاء، والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت^(١١).

أما الواو فإن علماء اللغة القدماء أمثال سيبويه^(١٢) وابن جني^(١٣) وابن عصفور^(١٤) وغيرهم، يرون أن مخرجها ما بين الشفتين، مثل: الباء والميم. والظاهر أن علماء العصر الحديث كان لهم حجة

١- سورة هود آية ٤٢

٢- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠ / ١٤٦

٣- انظر الممتع ص ٧١٠

٤- سورة الفاتحة، آية ٣، ٤

٥- سورة البقرة، آية ٣٧

٦- انظر الممتع، ص ٧١٠.

٧- انظر الممتع، ص ٧٠٩.

٨- سورة الحج، آية ٥

٩- سورة النساء، آية ١٥٦.

١٠- سورة الانعام، آية ٥٣.

١١- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٧.

١٢- انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣.

١٣- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ٤٨.

١٤- انظر الممتع ص ٦٧٠.

في أن مخرج صوت الواو ليس خالصاً من الشفة، وإنما من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، ويصاحب نطق صوت الواو استدارة الشفتين معها، ولعلّ وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين^(١).

فقد أجرى الأستاذ «دانييل جونز» تجارب على أصوات اللين، وتبين معه أن صوت الضمة يتكوّن عندما يرتفع مؤخّر اللسان إلى الحنك إلى درجة يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف^(٢)، ولو تجاوز مؤخّر اللسان هذه الدرجة لضاق مجرى الهواء ونتج عن ذلك حفيف مسموع، وهذا الصوت هو الذي نسميه: واوا^(٣).

وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (الواو) من ضمن الأصوات الشفوية، ويذكر أنه بين صوت الواو والضمة الخالصة فرق بسيط جداً^(٤)، وعندما يتحدّث عن أصوات اللين والضمة الخالصة يبيّن أن (الواو) من أقصى اللسان عندما يقترب من سقف الحنك، فيقول: أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المارّ بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية، فإنّ الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة (u) الألماني، فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، أكثر من هذا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالإحتكاك وإحداث نوع من الحفيف، نتج عن ذلك صوت (الواو)، ولذلك يعدّ علماء الأصوات صوت (الواو) من الأصوات الشبيهة بالحركات كذلك، لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة، في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك مع الواو، أكثر منه مع الضمة^(٥).

فصوت الواو مخرجه من أقصى اللسان عندما يرتفع نحو الحنك، مع ملاحظة استدارة الشفتين لحظة النطق بالصوت، فصوت (الواو) ليس مقارباً للأصوات الشفوية إلا من جهة مصاحبة الشفتين في الإستدارة معه، وهذا يفسّر لنا السبب في امتناع إدغام الواو في الأصوات الشفوية: «الباء والفاء والميم» وأيضاً منع إدغام الأصوات الشفوية فيها.

وعلماء اللغة القدامى كانوا يظنون أن سبب امتناع إدغام الواو في الأصوات الشفوية - وهي في نظرهم مقاربة لها - والواو فيها لين، واللين فضل صوت في الحرف فلو أدغمت في أحد الأصوات الشفوية المقاربة لها لذهب اللين، فيكون ذلك إخلالاً بها^(٦)، ولأنها حرف علّة والمقارب لها حروف صحيحة - وهي الميم والباء والفاء - وفي نظرهم أن حروف العلّة لا تدغم في الحروف

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٢، المدخل إلى علم اللغة ص ٩٣، ودراسات في علم الأصوات اللغوية، ص ١٤٩.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٢٣. والأصوات اللغوية ص ٣٦، ٣٢.

٣- انظر الأصوات اللغوية ص ٣٢، ٤٢ ودراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١١٧.

٤- انظر مدخل إلى علم اللغة ص ٤٢، ٤٣.

٥- انظر المدخل إلى علم اللغة ص ٩٣.

٦- انظر الممتع ص ٧٠٩.

الصحيحة^(١)، كما لا يجوز إدغام أحد الأصوات الشفوية فيها.

بينما يخفّ إدغام: «النون والياء» في: الواو، وتدغم الواو في الياء.

فالياء: صوت مخرجه وسط اللسان^(٢)، وتدغم في (الواو) والواو: تدغم في الياء إلا أن (الواو) هي التي تقلب لجنس الياء تقدّمت أو تأخّرت، لأن القصد بالإدغام التخفيف، والياء أخف من الواو فقلبت الواو على كل حال^(٣).

ويفسر القدامى مسوغ إدغام الياء في الواو، والواو في الياء، أن الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقد اجتمعا في المدّ فصارا كالمثلين، فتدغم الواو في الياء بعد قلبها ياء، مع أن الواو تخرج من الشفة ثم تهوي إلى الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف والياء، فهما على هذا متجاورتان، فإذا التقتا في كلمة والأولى منهما ساكنة أدغمت إحدهما في الأخرى، وذلك نحو: «ليّه» من «لويت يده» و«شي» من «شويته» وأصله «لويّه وشوي» وكذلك لو كانت الثانية واو قلبت ياء ثم أدغمت الياء فيها، لأن الواو تقلب إلى الياء، ولا تقلب الياء إليها، لأن الياء أخفّ، والإدغام هو نقل الأثقل إلى الأخفّ^(٤).

فالقدامى فهموا أن الواو والياء متجاورتان، والظاهر أن استدارة الشفتين في الواو جعلهم ينسبونهما إلى الشفتين دون غيرها، ولكن الدراسات في المختبرات الصوتية التي أجراها «دانييل جونز» تبين أن الواو من أقصى اللسان. وهذا يفسر مفهوم القدامى لمسألة تجاور مخرج «الواو» و«الياء» إذ الواو من أقصى اللسان، والياء من وسطه، وهذا تجاور واضح، زد على ذلك أن الواو والياء من أحرف العلة وتشابها في اللين^(٥).

وأما جواز إدغام النون الساكنة في الواو، فإنّ مخرج الواو جاور مخرج الغنة - الخيشوم^(٦) - فأدغمت النون الساكنة في الواو، وهو قياس على جواز إدغام النون في الياء، وإن لم يكن فيها لين إلا أن فيها غنة ولها مخرج من الخيشوم^(٧).

وبعد، فإن الإدغام يجوز بين المتقاربين إذا كانا في كلمتين، لأنه لا يؤدي إلى لبس أصول الأصوات بإدغام المثليين، فالإدغام في كلمتين لا يلزم، ويجوز الإظهار في المتقاربين على الأصل، بينما عندما يجتمع المتقاربان في كلمة واحدة فالواجب البيان، لأن إدغام المتقاربين يؤدي إلى اللبس بإدغام المثليين، لأن إدغام المثليين في الكلمة لازم، فإذا أدغمت المتقاربين في الكلمة الواحدة لم

١- انظر المتع ص ٧١٠.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٣٢.

٣- انظر المتع ٦٨٨، وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

٤- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٣٩.

٥- انظر المتع ص ٦٨٨.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٣٤.

٧- انظر شرح المفصل ٤/١٣٩.

يبيق ما يشير إلى أصل الكلمة، فإدغام النون في «أنملة» في الميم، تصوير «أملة» يؤدي إلى فقدان الأصل، هل هو «أنملة» أو «أمملة»^(١).

الفصل الخامس

مطلب: الانسجام الصوتي في الكلام

في هذا الموضوع نحتاج أن نتعرف إلى بعض الظواهر الصوتية لمعرفة المقصود منها، فالانسجام الصوتي في الكلام يستعمل العديد من الظواهر الصوتية في آن واحد، مثل التنغيم، والنبر، والحن، والموسيقى، والمماثلة، والمخالفة الصوتية، والإدغام، والتخلص من الساكنين، وطول الصوت، وحذف أو زيادة صوت، وإبدال الأصوات وغير ذلك.

والتنغيم، هو: عبارة عن تنويع الأداء للعبارة حسب المقام فيه^(٢).

فالنَّغْمَةُ: جَرَسُ الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها^(٣)، وتقول: تَنَغَّمَ الإنسان بالكلام^(٤). ويقال: رجل نُغُومٌ: حسن النغمة. والنغَام: الكثير النغمة^(٥).

والنبر، هو: وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع من الكلام^(٦).

والنبر: يدل على الرفع والعُلُوّ، ورجل نَبَّار: فصيح جهير^(٧). وفي اللسان: فصيح الكلام، ونَبَّار بالكلام: فصيح بليغ، ورجل نبار: صيَّاح، والنبر عند العرب: ارتفاع الصوت. يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوّ، ونبر المُغَنِّي: رفع صوته عن خفض. وكل شيء ارتفع من شيء: نبرة لانتباره^(٨).

واللحن، هو: الغناء وترجيع الصوت والتطريب.

يقال: فلان لا يعرف لحن هذا الشعر، أي: لا يعرف كيف يغنيه، وقد لَحَّن في قراءته إذا طرَّب بها^(٩).

و«لَحَّن» في قراءته: طرَّب فيها وغرَّد بالحن، والأغنية: وضع لها صوتاً موسيقياً مناسباً تغنّى به (مولد)^(١٠).

١- انظر الممتع ص ٧١١.

٢- التجويد والأصوات ص ٨٢.

٣- مقاييس اللغة «نغم» ٥/٤٥٢، لسان العرب «نغم» ١٢/٥٩٠.

٤- مقاييس اللغة «نغم» ٥/٤٥٢.

٥- الوسيط «نغم» ٢/٩٣٧.

٦- دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٨٢.

٧- مقاييس اللغة «نبر» ٥/٣٨٠.

٨- لسان العرب «نبر» ٥/١٨٩.

٩- لسان العرب «لحن» ١٣/٣٨١.

١٠- الوسيط «لحن» ٢/٨٢٠.

والموسيقى: لفظ يونانيّ معرب، يطلق على فنون العزف على آلات الطرب. و(علم الموسيقى): علم يبحث فيه عن أصول النغم، حيث تأتلف أو تتنافر^(١).

والمماثلة، هي: تأثر الأصوات اللغويّة بعضها ببعض في المتصل من الكلام، أوهي: تحوّل الأصوات المتخالفة إلى متماثلة، إمّا تماثلاً جزئياً أو كلياً^(٢).

و(المثل): كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال شَبَّهه وشَبَّهه بمعنى، والفرق بين المماثلة والمساواة: أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين فيه، لأن التساوي - وهو التكافؤ في المقدار - لا يزيد ولا ينقص. وأمّا المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين (فيه) أو (في الجنس)، فاذا قيل: هو مثله - على الإطلاق - فمعناه: أنه يسدّ مسدّه، والمثل: الشبه^(٣). و(ماثل) الشيء: شابهه، ويقال: ماثل فلانا بفلان: شَبَّهه^(٤).

والمخالفة: تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسيّ يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين^(٥).

والخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً^(٦). وتخالفاً: تضاداً.. ويقال: خالف بين الشيئين^(٧).

وطول الصوت اللغوي، هو: الزمن الذي يستغرقه النطق بحرف من الحروف.

ويقدر نطق الحرف بمقدار من مائة في الثانية فصوت (d) الإنجليزي إذا وقع متطرفاً فإنّه يستغرق زمناً يقدر بحوالي (٠،٠٥) من الثانية. ويستغرق صوت اللين المفتوح (A) حوالي (٠،٤٨) من الثانية^(٨).

فالظواهر الصوتية في اللغة العربية متنوّعة، وعندما يؤدّي المتكلّم حديثاً فإنّه يتكلّم بسهولة وانسجام مع لغة أو لهجته، فلا يعوقه التفكير في كيفية نطق الكلمة، وإنّما يجري ذلك على لسانه بطريقة عفويّة، والمثل الأجمل في الكلام هو: التجويد. وبين ابن الجزري: أنّ التجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإحاقه بنظيره وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به، على حال صيغته، وكما هيئته، من

١- الوسيط «موسيقى» ٨٩١/٢

٢- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٩٢.

٣- لسان العرب (مثل) ٦١٠/١١.

٤- الوسيط (مثل) ٨٥٣/٢.

٥- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ٢٠٢.

٦- لسان العرب (خلف) ٩٠/٩.

٧- الوسيط (خلف) ٢٥١/١.

٨- انظر التجويد والأصوات ص ٨٥.

غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف^(١).

والصوت العادي لا يمنع الأداء الجيد، فصاحب الأداء السليم تتلذذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، ولقد أدرك ابن الجزري بعض شيوخه ممن لم يكن لهم حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء، قيماً باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب المجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه^(٢).

والأداء، قادر على إكساب اللفظ معاني متنوعة تبعاً للإعراب، ففى قوله تعالى: ﴿الْمَ ۝١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ^(٣). يوجد أكثر من إعراب وسببه اختلاف الأداء في القراءة، فتعرب ﴿ذَلِكَ﴾: خبراً لمبتدأ محذوف، و ﴿الْكِتَابُ﴾: نعتاً أو بدلاً أو عطف بيان. كما تعرب ﴿ذَلِكَ﴾: مبتدأ، و«الكتاب»: خبراً. أيضاً تعرب «ذلك»: مبتدأ، و«الكتاب»: نعتاً، وجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: خبراً. فالأداء المنعم يعبر عن علاقة الألفاظ ببعضها، فيختلف الإعراب بحسب الأداء، فمن أعرب «ذلك»: خبراً، فهو يتصور أداء غير أداء من يعربها مبتدأ، وأداء الأول أداء من ينطق بالخبر في نغمه هادئة مطمئنة. أما من يعربها مبتدأ فإنه يؤديها في نغمه عالية ويؤدي كلمة «الكتاب» في أداء هادئ إذا أعربها خبراً. فأمّا إذا كانت تابعا لـ «ذلك» فلا يزال يمضي أداءه صاعداً مصحوباً بنبرة عالية على كلمة الكتاب، ثم يهبط هذا الأداء عند الخبر وهو: «لا ريب فيه»^(٤).

والأصوات تتأثر ببعضها البعض عند الدرج في الكلام، إلا أن التأثير أو المماثلة لا يكون في جميع الأصوات، مع بعضها البعض، وإذا حدث تأثر ما فليس من الضروري أن يحدث في كل أنواع المماثلة أو التأثير بنفس المستوى، ففي الإدغام بدون غنة تغنى النون في: (الراء واللام) فناء كاملاً إذا ولياها. أما إذا جاورت النون أصوات الحلق فإنها لا تتأثر بها، بل يكون الحكم أن القارئ يظهر نطق النون.

وقد حذر ابن الجزري القراء والمتكلمين من الوقوع في الأخطاء الصوتية للألفاظ المتداولة، فيقول: «وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقق ولا تفخم، بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعل به بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه، وأما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة، فهو شيء وهم فيه ولم يسبقه إليه أحد»^(٥).

١- انظر النشر ١/ ٢١٢.

٢- انظر النشر ١/ ٢١٢.

٣- سورة البقرة آية ٢٠١.

٤- انظر الإعراب، ص ٦٤.

٥- انظر النشر ١/ ٢١٥.

فعند الكلام تظهر على لسان المتكلم العديد من التأثيرات بالأصوات المتجاورة وإن لم تقرها القاعدة، إلا أن القارئ يجدر به أن يلتزم بأسس القواعد الصوتية.

ولتحقيق الانسجام الصوتي في الألفاظ والعبارات يتجه المتكلم أو القارئ الى تيسير النطق بالاعتقاد في المجهود العضلي عندما تتحرك عضلات جهاز النطق. وخير مثال «تاء» الافتعال، فالتاء صوت مهموس، فإذا صغنا على «افتعل» من ظلم، فإن الصيغة هي «اظلمت»، والطاء هنا صوت مطبق مجهور مستعل، والتاء لا يوجد فيها هذه الصفات، فالخروج من الصوت المجهور المطبق المستعل إلى صوت مستفل مهموس غير مطبق يؤدي إلى الثقل في نطق الكلمة العامة والصوت المهموس، مما يدفع القارئ الى اللجوء إلى أقرب صوت يناسب «التاء» من مخرجها وهو «الطاء» ويناسب «الطاء» في أنه مجهور ومطبق ومستعل، فيقتصد المتكلم بالمجهود العضلي وينسجم الصوت الأول مع الصوت الثاني وتطلق الكلمة «اظلم» بالطاء، وهذا ما يسمى بالمماثلة التقديمية، وهي أن يتأثر الصوت الثاني بالأول، ويمكن أن تكون المماثلة بتأثر الصوت الأول بالثاني وهذا ما يسمى بالمماثلة الرجعية. مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(١). والأصل «مذكر» فاجتمع صوتان متجاوران، الأول منهما مجهور والثاني مهموس، فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور، فاجتمع صوتان مجهوران، فأصبحت «اذكر» حين جهر بالتاء. وهذا تأثر تقديمي لأن الثاني تأثر بالأول، ويمكن أن تقلب «الذال» «دالا» سعيا للإنسجام الصوتي والمماثلة والفناء الكامل، فتصبح «مذكر».

وفي الكلام العديد من هذه الأمثلة، فتقول: اذكر، ادعى. ازداد: ازداد. اضطرب: اضطرب. ازدجر: ازجر، وغير ذلك.

ولتحقيق الانسجام الصوتي في الكلام يحرص المتكلم على نبر مقاطع الألفاظ صحيحة، وإلا عد المتكلم لا يعرف اللغة الصحيحة، بل أن من أسباب اختلاف اللهجات نبر مقطع لا ينبر في لهجة أخرى، بل ينبر غيره، والعامي لا يعرف المقاطع أو النبر، ولكنه ينطق الألفاظ بسهولة وانسجام واتقان دقيق للهجته دون أن يخطئ أو يتلعثم، وهو الذي يسمى بالسليقة اللغوية.

ولمعرفة النبر يستدعي دراسة الوحدات الصوتية البسيطة التي ركبت منها الكلمة وهذه الوحدات الصوتية البسيطة لا يمكن تجزئتها، وهي المعروفة بالمقطع الصوتي، وهو الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها الى أقل منها لبساطتها^(٢).

وبالنظر الى المقاطع العربية تبين أن نسج الكلمة العربية تتكون من ستة مقاطع، هي:

١- صوت ساكن + صوت لين قصير.

١- سورة القمر آية ١٥ و١٧.

٢- انظر التجويد والأصوات ص ٢٧.

٢- صوت ساكن + صوت لين طويل.

٣- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن.

٤- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن.

٥- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان^(١).

٦- صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنان^(٢).

فالفعل الماضي «ذَهَبَ» مقاطعه «ذَ» «هَ» «بَ» حيث تتوالى فيه ثلاثة مقاطع من نوع واحد، والمقاطع الثلاثة «صوت ساكن + صوت لين قصير» أما مضارعه «يَكْتُبُ» فمقاطعه «يَكْ» و «تُ» و «بُ» فيتكوّن من مقطع «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» أي: النوع الثالث من المقاطع، ومقطع «تُ» و «بُ» من النوع الأوّل: «صوت ساكن + صوت لين قصير».

أما كلمة «نَسْتَعِينُ» فإن مقاطعها «نَسْ» و «تَ» و «عِينُ» والمقطع الأوّل «نَسْ» من النوع الثالث «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» والمقطع الثاني «تَ» من النوع الأوّل «صوت ساكن + صوت لين قصير» أمّا المقطع الثالث «عِينُ» من النوع الرابع «صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن».

أمّا النوع الخامس من المقاطع «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان» يمثّله المقطع «قَرَّ» من «مُسْتَقَرَّ» عندما تقف عليه، وهذا المقطع يتألف من: صوت ساكن ثم فتح صوت لين قصير ويليه صوت الراء المشدد - ويتكون من صوتين ساكنين - ملاحظا الوقوف على الراء وتكرّرها.

اما النوع السادس من المقاطع فإنه نادر في النثر ولا يوجد في الشعر ويكون عند الوقف عليه، مثل كلمة: «ضالٌّ» فإنّ مجموع أصوات الكلمة مؤتلفة بمقطع واحد «صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنان».

وعند الكلام لا تكون جميع المقاطع على درجة واحدة من الوضوح، وتختلف درجة الوضوح من مقطع الى آخر، وهو الذي نسمّيه بالنبر، وهو: «وضوح نسبيّ لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع من الكلام»^(٣).

واذا كان النبر في مقطع ما، فهو أوضح في السمع من مقطع مجاور له، مما يؤدي الى نغمة خاصة

١- انظر الأصوات اللغويّة، ص ١٦٣.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٧٦.

٣- مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٠.

بارزة له فيتشكّل في الكلمة الواحدة أكثر من نوع في مستوى الأداء العضلي، من أعضاء النطق^(١)، فيحدث بما يشبه الموسيقى لتتوّع شدة الصوت من مقطع الى آخر.

ونطبق اللغة لا يكون صحيحا إلا إذا روعي فيه موضع النبر، وتختلف اللغات في موضع النبر، فالفرنسيون يُخضعون النبر لنظام صوتي، ووفق نظام وعادات يلحظونها بالضغط على المقطع الأخير من الكلمة، بينما اللغة الإنجليزية لا تتّبع نظاما معينا في النبر.

أمّا في اللغة العربية فإنّ النبر يقع على المقطع ضمن نظام افضليّة النبر على المقاطع، ولهذا نجد الارتكاز مرة على المقطع الأول، وثانية على المقطع الثاني، وأخرى على المقطع الأخير.

فالنبر في الكلمة العربية يقع على المقطع الأخير في حالة الوقف إذا كان: «صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن» وهو المقطع الرابع، مثل: «نستعين» فإن الارتكاز يكون على: «عين» أو إذا كان المقطع: «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان» وهو المقطع الخامس، مثل: «المستقر» فنجد الضغط على «قر».

ويكون النبر على المقطع الأول، إذا توالى ثلاثة مقاطع من النوع الأول: «صوت ساكن + لين قصير» مثل: كَتَبَ، ذَهَبَ، فإنّه ينبر المقطع الأول من الفعل «ك» و«ذ»، كما ينبر المقطع الأوّل أيضاً إذا لحق مقطع مغاير لهذه المقاطع الثلاث. ففي: «حَرَكَ، عَرَبَ، عِنَبَ»، ثلاث مقاطع من النوع الأوّل «صوت ساكن + لين قصير» ثم مقطع من النوع الثالث: «صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن» أو تقدّم هذا المقطع على المقاطع الثلاث، مثل: «اجْتَمَعَ، انْكَسَرَ» فإنّه يقع الارتكاز على المقطع الأوّل لأنّه يواليه ثلاث مقاطع متماثلة

ويقع النبر على المقطع الأول في المصادر والأسماء، إذا تكوّنت من ثلاثة مقاطع، الأول والثاني من النوع الأوّل «صوت ساكن + صوت لين قصير» والثالث من النوع الثالث «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» مثل «لَعِبَ، فَرِحَ، عِنَبَ، بَلَغَ»^(٢).

وغير هذا النسيج من التركيب للمقاطع فإنّه يكون على المقطع الذي قبل الأخير، مثل: «اسْتَفْهِمَ» عند الوقوف عليها فيتّبع الارتكاز على مقطع «تَفَّ» وهو «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن»^(٣)، ومثله «يُذْهِبُكُمْ» على المقطع «هَبَ» وأيضا «تَقَرِّضُهُمْ» على المقطع «رَضَ» وأيضا «ينادي» فإن الضغط يكون على المقطع «نا».

كما يكون النبر على المقطع الذي قبل الأخير فيما هو مثل «قاتل» و«يكتب» لأن المقطع الذي سبقه

١- حيث تنشط أعضاء النطق في حركتها وأداء وظائفها نشاطا فوق العادة مع المقطع لمنبور. انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٧٢ وما بعدها.

٢- انظر التجويد والأصوات ص ٧٥ وما بعدها. وقارن مع الأصوات اللغوية ص ١٦٢ وما بعدها.

٣- انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٢ ودراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٨٩.

ليس من نوعه -فهو من النوع الأول-^(١).

وإذا تعددت المقاطع، فكانت خمسا أو ستا، فإنَّ المقاطع التي بين الأول والأخير إذا كانت من النوع الأول «صوت ساكن + صوت لين قصير» فإنَّ النبر يقع على الأول، مثل: حاضِنَتُهُ، ذاكِرَتُهُ، ناصِيتُهُ، حاضِنَتُهُمَا، ناصِيتُهُمَا، قابِلَتُهُمَا، ذاكِرَتُهُمَا^(٢).

وتغيير نبر مقطع الكلمة إلى مقطع آخر في اللغة العربية لا يؤدي إلى اختلاف دلالة الألفاظ^(٣).

ولكن في اللغة الإنكليزية فالنبر له أهمية في تعيين معنى الكلمة، فكثير من الكلمات تتشابه به صوتيا، ولا تختلف الا في موقع النبر، ولذا يقوم النبر بالتمييز بين معاني الكلمات مثل: «ncrease» وتتطابق بنبر المقطع الثاني «crea» ومعناها الفعل «ينمو». وإذا نبر المقطع الأول «in» فيكون معناها المصدر «النمو»^(٤).

والظاهر أن تغيير الارتكاز في اللغة العربية من مقطع إلى آخر، من الممكن أن يؤدي الى تغيير مدلول الكلمات، ومعرفة مصدرها، مثل «أَجِدُّ» مضارع «وَجَدَ» ويقع النبر على المقطع الأول «أ». وكلمة «أَجِدُّ» مضارع «جَدَّ» المضعف، ويقع النبر على المقطع الأخير «د».

فالمقطع هو عنصر أساس في مفهوم الكلمة، والنحو التحليلي يهتم كثيرا بالمقطع الأخير للكلمة، فإذا كان مقطعا مغلقا، مثل: «تُبَّ» - وهو: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن - من قولك: لم يَكُتُبْ، والصوت الساكن الأخير في الكلمة أصلي، بينما نجد أنَّ المقطع «ب» - ويلفظ بُنْ - في كلمة «كتاب» - وهو أيضا: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن - فيه صوت النون ليس أصليا في الكلمة، وإنَّما من اللواحق الصوتية ويؤدي الى التمييز في نوع الكلمة.

اما زيادة نبر مقطع كلمة معينة من الجملة، فإنَّ له أهمية دقيقة في معرفة دلالة الغرض التي أُلقيت من اجله الجملة، فإذا قال إنسان: «هل حضر أخوك أمس» فإنَّ كان الاستفهام يدور حول الفعل، زيد في نبر مقطعة البارز، فيزيد على المقطع «ح» الضغط فيظهر انه يطلب معرفة الحضور

١- انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٢.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات ص ١٩١.

٣- هذا ما يراه الدكتور ابراهيم أنيس. انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٤.

٤- انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٨٧. وهذه بعض الكلمات الانجليزية، مرة تكون اسما وأخرى فعلا، والفصل بينهما الارتكاز فقط :

موضع النبر	اسم	المعنى	موضع النبر	فعل	المعنى
المقطع الأول	contract	عقد	المقطع الثاني	contract	يتقاعد
المقطع الأول	interest	هتنام	المقطع الثاني	interest	يثير اهتمام
المقطع الأول	contrast	التناقض	المقطع الثاني	contrast	يتناقض
المقطع الأول	import	استيراد	المقطع الثاني	import	ستورد

من عدمه، فإذا كان المستفهم طالبا معرفة مجيء الشخص، زاد في الارتكاز على مقطع «خو» من كلمة «أخوك» فتبين المسؤول أنّ السائل يطلب معرفة مجيء الشخص المعين أو غيره، فإذا كان الشك في زمن الحضور، زاد الارتكاز على مقطع أمس المنبور، ليتبين السامع أنّ السؤال يدور حول الزمن.

والمقطع العربي غير مستقر النبر في الأفعال، ويتأثر بالعوامل الداخلة عليه، فيتغير موطن الارتكاز في الفعل العربي تبعا للتطور الذي يحدث له.

فكلمة «فَهَمْ» يقع الضغط على المقطع «فَ» إذ أنّ جميع مقاطع الكلمة من نوع واحد «صوت ساكن + صوت لين قصير». وإذا نطق العربي الفعل المضارع من «فهم» فيقول: «يَفْهَمُ» فينبر المقطع «هَ» وسبب هذا التغيير في الارتكاز الاشتقاق الذي أدخل على الكلمة صوتا جديدا فتأثرت المقاطع، فضمّ المقطع «فَ» إلى الصوت الجديد «ي» كَوْنًا مقطعا موحدا وانتقل النبر إلى مقطع آخر.

ويتأثر الفعل المضارع بأدوات الجزم، فيتغير إعرابه والارتكاز على مقاطعه، فدخل حرف الجزم على الفعل المضارع في مثل «لم يفهم» يحوّل الارتكاز من المقطع «هَ» -لأن الكلمة كانت في السابق «يفهم» بالرفع- إلى المقطع «يَفْ» بعد أن تغير نطق المقطع «مُ» إلى ساكن فقط، فضمّ إلى المقطع الذي كان ينبر «هَ» فكوّنا مقطعا واحدا، هو: «هَمْ» وبذلك ينتقل النبر من المقطع السابق «هَ» إلى المقطع الأول «يَفْ» إذ أصبح الفعل «يَفْهَمُ» ينسج من مقطعين بعد أن كان ثلاثة مقاطع.

واتصال الأفعال باللواحق قد يؤدي إلى تغيير النبر من مقطع إلى آخر، فإذا أسند إلى ضمير رفع متحرك فإنه يتأثر في نسج مقاطعه، فيتغير معه الارتكاز على المقطع قبل الإسناد، ففي «فَهَمْ» عند اتصالها بضمير رفع متحرك، نحو: «فَهَمْنَا، فَهَمْتُ» يتغير الارتكاز من المقطع «فَ» إلى المقطع الثاني «هَمْ» حيث أثر المقطع «نا» و «تُ» في تغير نسج المقاطع فأسكنت الميم، وأصبحت تابعة للمقطع السابق لها، بعد أن كانت مقطعا كاملا، فنسج المقطع «هَبَ» و «مَ» مقطعا جديدا. وتغير النبر من المقطع الأول «فَ» إلى المقطع الثاني «هَمْ».

ونلاحظ أنّ الفعل إذا اتصل بألف الإثنين أو واو الجماعة، نحو: «فَهَمَا، فَهَمُوا» فلا يتأثر المقطع الأول بالتخلي عن الارتكاز، لأنّ ألف الإثنين وواو الجماعة لم تؤثرا على المقطع الأخير، بل نسجت كل واحدة معه مقطعا، فبدل أن كان المقطع الأخير «صوت ساكن + صوت لين قصير» تغير إلى «صوت ساكن + صوت لين طويل» وهذا لا يغير الارتكاز الصوتي. والفرق فقط في كمية نطق زمن صوت اللين، حيث مدّ بعد أن كان مكسورا أو مفتوحا أو مضموما.

والكلمة العربية لا تتحمل تغييرا في نسج المقطع دون أن يتأثر المعنى، فإنّ تكرير الصوت الساكن، أو مدّ صوت اللين أو العكس في المقطع يؤدي إلى دلالة جديدة للكلمة، نحو: «فَهَمْ» فإذا مطلنا صوت اللين القصير في المقطع الأول أصبحت «فاهم» وكذا إذا كررنا صوتا ساكنا، نحو: «فَهَمْ» وبالتالي يتغير الارتكاز الصوتي في المقاطع.

والإرتكاز الصوتي أو الضغط على مقاطع دون مقاطع من العوامل المساعدة على ظهور اللهجات العربية، وقد لاحظ الدكتور إبراهيم أنيس^(١): أن القاهريين ومعظم سكان الوجه البحري في مصر ينبرون ما قبل المقطع الأخير في كلمة «رَبْنَا» - أي: مقطع «ب» - وفي كلمة «عَمَلَهُمْ» يضغطون على «ع». أمّا أهل الصعيد فيضغطون على «رَب» فينطقون الكلمة «رَبْنَا» وعلى المقطع «م» في «عَمَلَهُمْ». وهذا مما يؤدي إلى اختلاف اللهجات.

وتحدّث المحدثون عن نوع معيّن من أنواع تغيّر دلالة الالفاظ والمعروف بالحن، فبعضهم سماه بـ «الفونيمات»^(٢) أو التنعيم. وآخرون بـ «موسيقى الكلام»^(٣). فالكلمة تنطق بلحن معيّن فيكون لها دلالة، وتنطق ثانية بلحن آخر، فيكون لها دلالة مختلفة عن الأولى، وعرفت اللغة الصينية وبعض لغات وسط افريقيا بهذا النوع، ففي اللغة الصينية كلمة «فان» تُؤدّي ستة معانٍ لا علاقة بينها، هي: «النوم، والشجاعة، والواجب والمسحوق، ويحرق، ويقسم: وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة»^(٤).

واللغة الإستوائية «Estonian» تتخذ مدة استمرار طول الصوت وسيلة مميّزة بين المعاني، فالصوت الصائت - اللين - يأتي «قصيرا» و «طويلا» و «بالغ الطول» ففي كلمة «sada» إذا كان صوت اللين الأوّل «a» قصيراً فيكون معناها: «مائة» وإذا كان طويلاً «saada» فهي فعل أمر بمعنى أرسل، وإذا كان بالغ الطول «saada» فتكون مصدراً بمعنى: الحصول على، أو السماح^(٥).

والإشتقاق في اللغة يقوم على عدّة عوامل، منها: توظيف طول الصوت اللغوي في دلالة المعاني. إذ تختلف فيها معاني الألفاظ تبعاً لطول صوت اللين، فكلّنة «طَرَدَ» تتألف من ثلاثة مقاطع، كلّ مقطع عبارة عن: «صوت ساكن + صوت لين قصير» - وهو هنا فتح -^(٦). أمّا إذا زدنا في نطق صوت اللين القصير «الفرنسي» في الكمّيّة الزمنيّة، تولّد عنه تولّد عنه صوت لين طويل «A» وهونفس الصوت الأوّل، إلا أنّ الفرق في مدّة الزمن التي يستغرقها الصوت، فإذا قلنا «طاردا» بعد مدّ الفتح اختلف المعنى الثاني عن الأوّل، ولوجاز لنا أن نكتب الأحرف العربيّة باللاتينية^(٧) لكتبت «طرده» و«طاردا»: (tarada) وكذلك «رام» و«رمى» فتكتبان «rama».

١ - انظر الأصوات اللغوية، ص ١٧٣.

٢ - انظر علم اللغة د. السعمران، ص ١٩٨.

٣ - انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٥. علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٦٣.

٤ - انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٥. التجويد والأصوات، ص ٧٥. علم اللغة ص ١٩٨.

٥ - انظر علم اللغة، ص ١٩٨.

٦ - ومن الممكن أن يكون صوت اللين ضمّ أو كسر.

٧ - اعتبر كتابة العربيّة بالأحرف اللاتينية خروجاً عن الأصول العربيّة والقواعد والإملاء، ويجب المحافظة على الحرف العربي لأسباب عديدة. ليس هذا مكان بيانها.

وهذا قياس مطرد في اللغة العربية، فزيادة صوت ساكن أو مدّ صوت اللين أو زيادة صوت اللين فإنّه يحدث اختلافا في المعنى، فزيادة التركيز على صوت اللين ومدّه يؤدي بلحن يختلف عن الأوّل، وإنّ كنّا في اللغة العربية نرسم اللين الطويل مع بناء الكلمة ولا نرسم اللين القصير معها، إلا أنّ اللغات الأوروبية لا تميّز بين اللين الطويل والقصير، وترسمها مع بناء الكلمة.

فالفرق بين أداء الأصوات في اللغة العربية يختلف اختلافا كبيرا في التنغيم أو اللحن، فالاشتقاق هنا لون من اللحن يتغير معه المعنى.

ومن مميّزات اللغة العربية قرب أصوات العلة من أصوات اللين، فأصوات العلة تقلب إلى أصوات لين طويلة فكلمة «سام» غير «سما»، الأولى صوت العلة وسط الكلمة، والثانية في نهاية الكلمة، وفي الكتابة الأوروبية تكتبان «sama» وبفعل تنغيم الألفاظ ولحنها تؤدّي كل واحدة مختلفة عن الأخرى، فنمدّ في الأولى المقطع الأوّل «سا» ونمدّ في الثانية المقطع الثاني «ما» مما يؤدي إلى اختلاف المعاني للألفاظ والأمثلة على ذلك كثيرة.

وصوت التنغيم يميز بين المفرد والمثنّى، فقول القائل: «قال» يعنى إنسان واحد، فإذا قال: «قالا» يعنى اثنين، والفرق -في الفتح- في المدة الزمنية لصوت اللين مما أدّى إلى المفرد أو إلى الإثنتين. ويميّز التنغيم بين المفرد والجمع، فنقول: «يضربُ» و«يضربون» فتتغير علامة الإعراب تختلف عن نغمة واو الجماعة في كمّيّة الزمن الذي يستغرقه صوت اللين في كل من الكلمتين، فطول الصوت له تأثير كبير في دلالة الألفاظ.

هذا نوع من التنغيم في مقطع الكلمة، أمّا تنغيم الكلمة بالنسبة للجملة فإن لها تأثيرا في مفهوم الجملة، فجملة: «هل حضر الأستاذ أمس؟» استفهامية، ولكن المستفهم عن ماذا يريد أن يثبت، عن الفعل أو الفاعل أو الزمن. فاعل السائل يريد أن يتأكّد أنّ الحضور فعلا حصل، لأنّه كان يعلم سابقا أنّ الحضور إلى المدرسة قد لا يحدث، ومن الممكن أن يكون هناك فعل آخر، فإذا كان السائل طالبا تأكيد الفعل زاد من نبر المقطع المهمّ في «حضر» ونغمة، وإذا كان السائل يريد أن يتأكّد أنّ الأستاذ بنفسه حضر لا غيره وأنّه كان يشكّ في حضور الأستاذ زاد في نبر المقطع الهامّ في كلمة الأستاذ أما إذا كان السائل متأكّدا أنّ الحضور حصل من الأستاذ، لكنّه يريد أن يعرف زمن الحضور زاد في نبر المقطع الهامّ في كلمة «أمس».

فتميّز كلمة معينة في الجملة بزيادة نبر مقطعها المهمّ يبرز في الجملة المعنى الخاص المطلوب، فالإيقاع الذي سار عليه المتكلم أوحى للسامع بالمطلوب، فيربط السامع بين موسيقى الكلام والمعنى الخاص المطلوب، ويدرك أهميّة الكلمة في الجملة.

والجملة العربيّة جميلة النغمة لطيفة الإيقاع، يستطيع المتكلم أن يخبر وأن يأمر وأن يستفهم وأن يسخر أو يستهزئ وأن يستغرب وغير ذلك، في جملة واحدة، والمعيّار في معرفة الغرض التي

قيلت لأجله الجملة هو التنعيم أو اللحن.

ففي جملة «حضر الأستاذ» يتحدّد معنى الجملة الخاص بحسب النغمة التي تصدر عن المتكلّم، تكون إخبارا عن حضور الأستاذ، أو استفهاما عن حضوره، أو دهشة واستغرابا لحضوره، أو سخرية واستهزاء، وهذه الدلالات المعنوية تظهر في الإيقاع أو النغمة التي تؤدي فيها الجملة، وقد تساعد قسّمات الوجه، وارتجاف عضلاته بشكل معين، وحركات اليدين والجبين على نوع الجملة ودلالة الجملة، ويكون اعتماد السامع على التنعيم لفهم النص، يساعده على ذلك المقام وسياق الكلام وما عنده من معلومات معروفة سابقا على النص.

والجملة تتطّلق بتنعيم معين ويستطيع السامع أن يعرف أنّ ما سمعه سؤال أو إخبار أو تعجّب حتى لو لم يفهم بالضبط محتوى ما سمع، فمن التنعيم يعرف أنّ الجملة التي سمعها كانت سؤالاً أو إخباراً أو تعجباً^(١).

وللنغمة أربعة مستويات يستعملها المتكلم عند الحديث، وهي على الوجه التالي:

١- النغمة المنخفضة: وهي ما تختم به الجملة الإخباريّة والجملة الإستفهاميّة وهي أدنى النغمات، وتصحّح عادة فاصلاً - وهو الذي يفصل بين مجموعة صوتيّة وأخرى - هابطاً، وهو يأتي في نهاية القول دالاً على انتهاء الجملة أو الوقف على الكلمة، فيشعر السامع بانتهاء المجموعة الصوتيّة.

٢- النغمة العاديّة: وهي التي نبدأ بها الكلام، والتي يستمرّ على مستواها الكلام العادي غير الانفصالي، والنغمة العاديّة أعلى من النغمة المضمّنة وأدنى من النغمة العالية.

٣- النغمة العالية: وهي التي تأتي قبل نهاية الكلام متبوعة بالنغمة المنخفضة أو نغمة عالية مثلها، وتصحّح النبرة الرئيسيّة في الجملة.

٤- النغمة فوق العالية: وهي التي تأتي مع الإنفعال أو التعجب أو الأمر وغير ذلك^(٢).

وهذا التقسيم يبيّن مستويات سياق النغمات في الجملة، ولهذا عندما يلقي المذيع الأخبار وهو مسترسل ويقطع المخرج الحديث يشعر المستمع أنّ الجملة انقطعت فجأة دون رعاية من المذيع بإنهاء كلامه، ويفهم من سياق النغمات أنّ الخبر أو الكلام لم ينته وإنّما تدخل عنصر جديد وقطع الكلام. فالمذيع والمحاضر والخطيب وغيرهم يستعملون عند نهاية الفواصل أو السكوت نغمة منخفضة تشعر بنهاية الجملة أو بنهاية الحديث.

١- الأصوات اللغويّة د. الخولي، ص ١٧٠.

٢- انظر الاصوات اللغويّة د. الخولي ص ١٦٩ - ١٧٠.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع اسرار الانسجام الصوتي في اللغة العربية، يحقّ للباحث اللغوي أن يفخر بلغته العربية، لقدرتها الفائقة على الوفاء بالمطالب اللغوية الحية دون إخلال بقواعدها وأصولها. ولدراسة اللغة العربية بطريقة تحليلية وظيفية أثر بالغ في إحياء اللغة والتعرف على أسرارها، ونشر دقائقها.

ودراسة اللغة العربية بهذا الاتجاه نحو المبنى لا يقصد به المعنى، وإنما دراسة المعاني تأتي تبعاً لدراسة المبنى، فتستفيد بحوث المعاني من دراسة المباني.

ومن خلال دراسة أسس علم المباني ظهر العديد من الظواهر اللغوية والصوتية مما يستدعي دراسة بعض الظواهر، مثل: ادغام التماثلين والمتقاربين والإبدال وغير ذلك. ويدفع الباحث بدراسة الأصوات الفصيحة والرديئة والمردودة، فيستطيع معرفة هذه الأصوات وتحديد موقف الكلمة من الفصاحة.

ويستفيد الدارس اللغوي والمحلل لأصوات اللغة من الدراسات القديمة العريقة، وتفصيل ما توقف عنده العلماء القدامى، وشرح غامضه.

ومما يجب الإهتمام به مخارج الحروف، فأبناء اللغة العربية مدعوون إلى تعلم مخرج كل حرف، ومعرفة صفة الأصوات الصحيحة والتفرقة بين صفات الأصوات، كي لا يلتبس عليهم النطق الصحيح، وبذلك يتكلمون بلغة عربية سليمة، فمن أسباب نشأة اللهجات: تكريس نطق الصوت بصفات غير موصوف بها، وهذا يؤثر على وحدة اللغة وظهور اللهجات المتباينة، وقد شدد العلماء القدامى على نطق الأصوات العربية سليمة، مزيّنة بصفاتها الموصوفة بها، وبخاصة حين يتلون القرآن الكريم، ولهذا قال ابن الجوزي:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

ومن المسائل التي يجب أن لا نغفلها، أن مجامع اللغة العربية في الوطن العربي منوط بها دراسة اللغة العربية دراسة دقيقة وهذه مسؤولية مهمة وخطيرة، فالمجامع اللغوية بدراساتها أصوات اللغة تحمي لغة الأمة من الضياع والإنقسام وتحافظ على الصوت العربي وترقى به، ولهذا يجب الاستفادة من المختبرات الصوتية ودراسة الصوت العربي بطريقة علمية مدعمة بالحقائق والشواهد الواضحة، وما قام به أساتذة الأصوات من عمل يشكرون عليه، فإنه يظل عملاً فردياً فالمجامع اللغوية لها القول الفصل في مضمار اللغة وما يتعلق بها.

ويشتغل القارئ العربي كثيراً بالحركات، والخليل بن أحمد وضع ثلاث حركات فقط، وأحسن كثيراً بهذا العمل، ولكن اللغة العربية تتحمل أكثر من ثلاث حركات، وما أصوات اللين الكثيرة عند الغرب والمعروفة بـ«vowels» إلا حركات، سواء كانت طويلة أو قصيرة.

والمجامع اللغوية العربية مدعوة لأخذ المبادرة في وضع حركات جديدة وتضاف إلى رصيد حركات اللغة العربيّة، فالفتحة في اللغة العربية ليست واحدة، فقد سمعنا قديماً عن الفتحة المفخّمة، ورمز لها عند علماء الأصوات المحدثون بالصوت الفرنسي «a»، والفتحة المرفّقة واصطُـلح عليها المحدثون بالصوت الفرنسي «a»، والفتحة الممالّة إمالة خفيفة نحو الكسر، واصطُـلح عليها علماء الأصوات بالصوت الفرنسي «ê» كما اصطُـلح علماء الأصوات على الفتحة الممالّة إمالة شديدة على رمز الصوت الفرنسي «é».

كما أنّ صوت الضمّة في اللغة العربية ليس موحّداً، فصوت الضمّ في: «قُل» ليس هو صوت الضمّ في: «مَجْهول» ففى الأولى يناسبه الصوت الفرنسي «o» وفي الثانية الصوت الألماني «u» أو الفرنسي «ou» وهذا مما يدعوا إلى التفكير بوضع رموز جديدة للصوت العربي.

فالمجامع اللغويّة العربيّة مدعوة إلى وضع حدود وضوابط جديدة لأصوات اللين القصيرة والطويلة الفرعية.

ومن النتائج التي تذكر هنا، أن ما بحثه المحدثون في ضوء المختبرات، والإمكانات العلميّة الحديثة ومساعدة العلوم الحديثة ونتائجها الآلي، ومشاركة الآلة المتقدّمة، لم يعد ما كتبه علماء اللغة القدامى، وبدون مشاركة المختبرات والآلة، علماً بأنهم عاشوا في عصور متقدّمة، مثل: الخليل وسيبويه وابن عصفور وغيرهم، فكان عملهم اللغوي ونتائجهم في توصيف الأصوات اللغويّة ومخارجها، يعتمد على ذوقهم العربي، وصفاء قريحتهم اللغوية وحسّهم الوجداني، وهذا النتاج الجيّد، وصل إلينا مسطّراً في كتبهم الضخمة، وسعدنا بها حيث يسّرت لنا طريق البحث، فكان مثل: (الكتاب) و(المقتضب) و(سرّ صناعة الإعراب) و(الخصائص) و(شروح المفصل) وغيرها أن حملت إلينا علماً جماً، فما بحث المحدثون بمسألة إلا وتكلم القدامى فيها، وحفلت دراستي هذه بمثل هذه النصوص.

وواجبنا لإتقان خروج الصوت من مخرجه الصحيح، وإعطاء الصوت حقّه من الصفات: التدريب أمام أساتذة الأصوات والتجويد ليحسن الناطق أداء الصوت سليماً.

والفقرة السابقة تركز على تلقي العلوم والأخذ مباشرة من العلماء وهو ما يسمّى بالمشافهة، ومعرفة تطبيق التجويد والأصوات يستفاد بالأخذ من أفواه القراء المتقنين لمخارج الحروف وصفاتها، فلا يسلم المرء من الخطأ حينما يفقد هذا الجانب المهمّ، ويبرز قصوره في كثير من المسائل ولا يعتدّ بعلمه عند العلماء، وفي هذا المعنى قال الشاعر:

من يأخذ العلمَ عن شيخٍ مشافهةً يكنّ عن الزيفِ والتصحيّفِ في حَرَمٍ
ومن يكنّ أخذاً للعلمِ عن صُحُفٍ فعِلْمُهُ عند أهل العلمِ كالْعَدَمِ^(١)

١ - من مقدّمة مدقّق تصحيّفات المحدثين للعسكري. ص ٢٤.

وبعد:

فإني أترك القارئ الكريم بعد أن فرغ من قراءة هذا المجهود وأنا أقول له: لقد استحوذت دراسة الأصوات على اهتمامي وأخذت لبّي ووقتي، وهذا العمل ثمرة طيّبة - إن شاء الله تعالى - بعد طول دراسة وتدقيق.

والله ولي التوفيق،،،